# لِمَ جعلتني أُعاني

**لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.**

**All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.**

## الكتاب: لِمَ جعلتني أُعاني


- **المؤلف: رانيا محمود**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى** 1440 هـ -2020 م - **القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**
- **رقم الإيداع : 2471 / 2020**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-97-3**
- الغلاف: ببلومانيا
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 00201065534541 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com


**كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع**

+201065534541 +201208868826 fb.com/Books.Bibliomania/ fb.com/bibliomania.eg/ Insta:books.bibliomania/ Books - ببلومانيا fb.com/groups/Bibliomania.Books/ @BibliomaniaEg

# لِمَ جعلتني أُعاني

رواية

رانيا محمود

www.bbibliomania.com

**2020**

# إهداء

إلى روح والدي الذي يرقد تحت الثرى ، أول من أشعل فتيل إلهامي ، إلى حب لا ينسى وروح لا تفارق روحي .

إلى أمي، شمس الحياة الدافئة ، إلى الحب الأبدي الذي لا يتغير، والدعوة الصالحة التي تلاحقنا دون أن ندري .

إلى زوجي ، رفيق دربي ، وقرة عيني ، إلى حصني الذي آوي إليه وأحتمي فيه من صفعات الأيام ، واليد التي تأخذ بيدي في طريق الحياة ومشوارها، لا تنفلت إلا بالموت.

إلى أبنائي، حب الحياة وما بعدها ، قرة عيني ،وضياء قلبي ، ومهجة فؤادي، إلى وجه الحياة الباسم، وما أجمله .

إلى أخواتي ، عطر أمي وأبي ،رفيقات دربي ، وشقيقات روحي .

إلى إخوان وأخوات لي لم تلدهم أمي وولدتهم لي الأيام ،، فأصبحوا جزء مني لا يتجزأ، أدامكم الله.

*****

# المقدمة

إلى كل من طرق بابا ليتحمل منه أمانة ولم يكن يعلم كيف سيحافظ عليها ، ولم يعرف أن الجبال أبت أن تتحملها.

إلى كل زوجة انشغلت عن فلذات أكبادها بالسعي وراء الحب الذي ضن به الرجال، فلم ولن تستطع إدراكه.

إلى كل مربية صانعة أجيال، وأم معلمة، أن تتقي الله فيما تغرس حتى يكون الحصاد طيبا لها ولغيرها.

إلى كل من أذاق غيره من ويلات الحياة وآهاتها مالم يكن بحسبانه

إلى كل من ترك يدا، وخذل محبا، ونقض عهدا، وخلف وعدا، وكسر قلبا، وحطم كبريائا، وجرح كرامة، ولم يدري أن عجلة الزمن تدور ولو بعد حين

إلى اليد التي جارت ودمرت، وأغوت شبابنا، بل أودت بهم إلى التهلكة فقضت عليهم، وجنت على آخرتهم قبل أن تجني على دنياهم.

إلى شياطين الإنس الذين نسوا، أو تناسوا أن الدنيا مهما طالت قصيرة، وكلنا محاسبون في محكة الواحد الديان.

إلى كل عامل في عمله، وكل صانع في مصنعه، وكل فلاح في أرضه.

إلى كل صاحب همة.

إلى كل فئات المجتمع بأشكالها وألوانها وطبقاتها أن تراحموا فيما بينكم

( واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)

*****

( رانيا محمود)

(١)

بصوت عذب رخيم يحمل بين طياته شيئًا من الألم والحزن، تنادي سهر، عادل –عادل.

لكن عادل منهمك في عمله، منكب على أبحاثه، تائه بين الأوراق.

فهو أستاذ جامعي وكيميائي عظيم، ذو عقل ناضج، يعشق العلم، يتصف بالهدوء، يقدس النظام، يحب التفكير العميق الصامت، نادرا ما تراه مبتسما وكأنما يحمل الدنيا على كتفيه، عندما تناديه لا يجيبك إلا بعد أن يضع مافي يديه بهدوء، ثم يرفع نظارته حتى يستطيع الإجابة، يشبك أصابعه بترو، رافعًا بصره إليك، لتجد نفسك مرتبكًا وكأنك طالبا مدرسيا حاضرا أمام أستاذه، وهو ما تعاني منه سهر التي هي بمنأى منه تماما، فعندما ينظر إليها الناظر يلمح امرأة في عقدها الثالث تشع أنوثة وجمال، كلها رقة غير تلك النظرة الحزينة التي تسكن عينيها.

تأتي إجابة عادل متأخرة كالعادة بها بعض من التأنيب والحزم.

عادل: ما الأمر؟ أنا مشغول، انتظري ريثما أنتهي.

سهر: العشاء جاهز، وربما سيبرد إن تأخرت.

عادل: ألم نتحدث في هذا الموضوع مرارا وتكرارا، فقط تريدين إثارتي واستفزازي، ألم أنبهك أن لا تقاطعيني أثناء عملي!؟.

سهر: اليوم عطلة، وغدًا ليس هناك عمل، ما المشكلة في أن نجلس للعشاء سويا قبل أن ينام الأولاد؟.

عادل: المشكلة أنكِ لا تقدرين عملي، تركضين وراء أحلام زائفة، ورومانسية فقيرة.

سهر: أحلام زائفة لأني أردت أن نعيش جوًا أسريًا لمدة عشر دقائق؟

بل أنت الذي لا تبالي لشيء سوى مؤلفاتك وأبحاثك، وتتفانى من أجلها، وتفنى أيامك وأيامنا معها.

عادل: هذه الأوراق هي من تطعمك أنتِ وأبنائك، هي من توفر لك من يخدمك، وسهراتك مع صديقاتك، هي من تدفع فاتورة رفاهيتكم، ثم تمتم، امرأة مستهترة مثلك لا تشعر كيف ستقدر؟!

خنقت العبرات سهر فلم تستطع أن تكمل المشاجرة اليومية، التفتت لترى يوسف متكئا على باب غرفته واضعًا إحدى يديه في جيبه وبالأخرى يطوق آدم صاحب الوجه البريء والعيون الزرقاء بأهدابها الفاتنة التي لا يرى مثلها في جمالها، نظرت إليهما نظرة انكسار، ثم انصرفت تلملم سفرتها والدموع تتقاطر من عينيها في صمت.

دخلت غرفتها، أزالت مساحيق التجميل التي كانت قد وضعتها، رفعت عقدها عن رقبتها، ثم تحسسها بكلتا يديها وكأنها تزيح يد خانقها من على

رقبتها، بدلت ثيابها الأنيقة وارتمت فوق سريرها وكأنما ترتمي في أحضان محب ليجفف دموعها وينهي وطأة الحزن داخلها.. شريط من الذكريات يجري في مخيلتها، تنطق بصوت منخفض وهي تهز رأسها وتغلق عينيها، لا، لا، لا. ليس هذا الشخص الذي هويته وآمنته على نفسي، كل يوم يمر منذ أن تزوجته يثبت لي أنه شخص آخر غير الذي أحببته.. تنهدت تنهيدة الوجع وهي تلتف واضعة رأسها على وسادتها بكل ما فيها من أفكار وأحلام و أمنيات ترجو أن تتحقق في يوم من الأيام.

صوت باب الغرفة يغلق. بصوت هادئ، سهر، سهر. أنا أعتذر.

لا تجيب وتتظاهر بالنوم.

عادل: أعلم أنكِ لم تنامي بعد، تصر سهر على التظاهر بالنوم، ييأس عادل الذي لا يحب أن يكرر كلامه، فيدر ظهره ثم يدعوا دعاء النوم (فهو ملتزم إلى حد كبير بالآداب والأدعية الإسلامية، محافظا على صلواته، منضبطا في تأديتها في أوقاتها) يحدث نفسه حديثًا داخليًا (ربما قسوت عليها، سامحيني يا سهر، أعلم أنني أقسو عليكِ، ولكن استهتارك يجعلني أثور)

تمنى أن يلتفت ليحتضنها، أو ليربت على كتفيها، تلك الأمنية التي كانت تتمناها هي الأخرى وتفكر فيها في نفس اللحظة، لكن شخصيته القاسية تمنعه

وتجعله في صراع بين ما يشعر به وما يجب ان يكون عليه في قناعته وما تربى عليه في صغره

تنهيدة تخرج منهما معًا في نفس اللحظة ثم سكون النوم.

***

(٢)

على المائدة في بيت متواضع أشبه بالفقير، تجلس شوقية وأمين، والأطفال الثلاثة يأكلون فتات قوتهم.

أمين: إلى متى سيظل الحال هكذا؟!

ألن تذهبي إلى الفيوم لتجلبي المال؟!

شوقية في تأفف واضح: سوف أحادث ابنة خالتي وأسافر غداً.

أمين في تهكم: ماذا بك؟ هل يزعجك الوضع؟!

هذا ما اخترته أنتِ وهذا الوضع أنتِ قد وضعتنا فيه طالما أنكِ ترفضين بيع ما تبقى من مصوغاتك، كان بالإمكان أن نكون أحسن حالاً.

شوقية: يكفي ما بعناه، وهل بقي منه شيء يذكر بعدما أنفقته عليك؟.

يعلو صوت أمين في ضجر بالغ: لم أجبرك، أنتِ برغبتك أتيتِ، وكنتِ تعرفين ظروفي، لم أعدك بأني سأسكنك القصور.

ثم يتركها ذاهبا إلى حيث تذهب به أقدامه.

صوت الباب يغلق بقوة...شوقية تتمتم: أمقت ذلك اليوم الذي خالفت فيه أهلي وكسرت أبي، وحملت كل ما أملك حتى نفسي تحت مسمى الحب لآتي هاربة ألتجيء إليك، أين كان عقلي؟! دمرت حياتي بيدي، سحقا لكل الرجال الكاذبين المخادعين أمثالك، عرفتَ موطن ضعفي ثم ضغطت عليه، زينت لي الحياة وكسوتها بالورود، قصصت على مسامعي أساطير الحب، غنيت لي ترانيم السلام، وعدتني أن أجد عندك ضالتي المنشودة، وأن أنعم بدفء الأسرة الذي طالما حلمت به وحرمت منه.

تتساقط عبراتها بشدة، ثم تغلق عينيها لتوحي لدمعاتها بالتوقف فيقف معها شريط الذكريات..

في الصباح الباكر تجهزت شوقية أمام مرآتها المتواضعة تنظر الى قسمات وجهها والى اثار السنين وكيف بدأت التجاعيد ترسم طريقها عليه، تنهدت ثم انصرفت لتبدأ رحلتها إلى الفيوم حيث تقابل قريبتها لتأخذ منها بعض المال الذي ترسله لها والدتها فهي أم، ولا يريح قلبها بُعد ابنتها وحاجتها حتى وإن خالفتهم يوماً ما..

*****

(٣)

يوسف: صباح الخير يا أمي.

سهر: صباح الخير يا يوسف، هل أضع لك طعام الإفطار؟

يوسف: لا، شكراً فأنا على عجل من أمري، لدي ثلاثة دروس متتالية.

سهر: انتبه لدروسك جيدا يا يوسف، هذه السنة الأولى لك في الثانوية ولابد أن تنهيها بتفوق.

يوسف: نعم.. نعم يا أمي، إن شاء الله.. يرد في عجل وهو يرمق هاتفه الذي ما انفك يراقب رسائله المتتالية كالمطر، كيف لا...؟! ويوسف يصادق الكثيرات، يتسكع معهن، يبحث بينهن عن الحنان والأمان اللذان يفتقدهما داخل جدران منزله، أو ربما يبحث عن قلب يُصغي إليه ويتفهمه ويحتويه في مرحلته العمرية الصعبة تلك.

يرن هاتف سهر.

ألو نيڤين ، صباح النور.

نعم.. نحن على موعدنا، نتناول الغداء سويا.

ألقاك هناك، مع السلامة.

يوسف: أمي، هل ستخرجين اليوم أيضا؟!

سهر: وما الفائدة في أن أبقى؟ سوف أرى خالتك نيفين لكي نتبضع، ثم نذهب لتناول الغداء في النادي، لا تهتم، سوف أنبه الخادمة أن تهتم هي اليوم بغدائك.

يوسف: لا، لا مشكلة، لم أقصد ذلك فانا أيضا سأتأخر اليوم، أبلغتك سلفاً أن لدي ثلاثة دروس.

سهر: آسفة، نسيت بالفعل، فأبوك لم يترك لي مجالًا لأتذكر شيئاً سوى قسوته.

يوسف: قصدت أن لا تتركين آدم وحده مع الخادمة، فقد كان خائفا طوال الليل، حتى أنه ترك سريره ونام في سريري بعدما بذلت معه جهدي حتى يغمض عينيه.

سهر: مسكين ذلك الولد، طفولته تدفن بين يديه، مع ذاك الأب المتسلط، لا تقلق أنا سأعالج الأمر.

تتوجه سهر إلى غرفة آدم في حنان بالغ.. آدم حبيبي ونور عيني

يغمض عينيه حتى لا يجيب، ولكن سهر تنقض فوقه تقبله وتدغدغه.

سهر: أعلم أنك مستيقظ (وهي تضحك)

آدم: صباح الخير يا أمي.

تطوقه بذراعيها، صباح الخير يا حملي الوديع.

ما رأيك في أن ترافقني اليوم في نزهة؟.

أومأ برأسه، فمزاجه لا يدع له الفرصة للتنزه، أخذ يفكر ملياً في إيجاد طريقة للرفض، حتى مرت من أمامه خاطرة وجد نفسه يبتسم لأجلها وهو يصيح: على شرط أن أدعوا ملك للتنزه معنا.

سهر: موافقة، دع الأمر لي.

أخذت سهر هاتفها، الهاتف يرن على والدة ملك لكن لا أحد يجيب.

آدم متشبثا بملابس أمه: أرجوكِ حاولي مرة أخرى.

سهر: أمرك يا ملاكي.

تعيد الاتصال .

ألو.. مرحبا.. كيف حالكم؟!

نحن بخير الحمد لله، كنا سنخرج اليوم في نزهة قصيرة

هل من الممكن أن نلتقي سويًاً؟

ممتاز، سوف نذهب إلى النادي نتناول الغداء هناك، لا بأس، إن كنتي مشغولة اتركي ملك معنا وأنا سأوصلها ريثما ننتهي.

اتفقنا، الساعة الرابعة مناسب.

تمام، نراكم بخير، مع السلامة.

هكذا أنهت سهر مكالمتها مع والدة ملك.

الساعة الثانية ظهرًا.. اتجهت سهر مع آدم المتلهف للقاء ملك التي لم يراها منذ فترة نظراً لانتقالها إلى مدرسة أخرى.

أنهت سهر التسوق مع نيفين صديقتها المقربة جدا، والتي هي بمثابة الأخت لسهر التي لم تمتلك من الدنيا إخوة مطلقاً، فسهر وحيدة والديها، ثم اتجهتا إلى النادي حيث الهواء الطلق، والخضرةالنضرة، والهدوء الذي يخرجهم من زحمة الحياة وغوغائها وصخبهاقليلاً

***

(٤)

في الطريق إلى الفيوم.

شوقية: ألو حسناء، كيف حالك؟!

ها قد وصلت، خمس دقائق وأكون في نفس المكان، حسنًا قبل أن تغلقي، انتبهي أن يراكِ أحد، أو يتبعك، مع السلامة.

توقفت السيارة حيث نزل آخر راكب فيها، ثم نزلت شوقية توارب خديها بحجابها خوفاً من أن يتعرف عليها أحد.

أتت حسناء أخذت منها المبلغ بعد أن احتضنتها بشدة، حتى خشيت حسناء أن يكون قد ألم بشوقية حدث جلل وهي تحتضنها بتلك الطريقة.

حسناء: شوقية ماذا هناك، هل أنتِ بخير؟.

تنهدت شوقية وهي تخفض رأسها، بخير يا حسناء، قبلي يد أمي، وقولي لها أن تسامحني وتدعوا لي.

حسناء: شوقية، لقد بدأ القلق يسري إلى قلبي، ماذا حل بك؟!

شوقية: لا شيء يا حسناء، إنها هموم الحياة.

حسناء: هموم الحياة؟ أنتِ رميتي بنفسك فيها، كنتِ أميرة في منزل والدك وكل طلباتك مجابة، لا أعلم ما الذي أجبرك على كل ما جلبتيه لنفسك ولأهلك؟!

شوقية: ما قد مضى انتهى يا حسناء، هيا، يجب أن أرحل قبل أن يراني أحد.

اتجهت شوقية إلى الجانب الآخر من الطريق مودعة حسناء، ملوحة بيديها حتى تركب (الميكروباص) العائد إلى القاهرة، تختلس النظر لكل شيء حولها، فقد تحرك الحنين داخلها إلى بلدها التي نشأت وترعرعت بها.

*****

(٥)

آدم: أمي، ألن تأتي ملك بعد؟أرجوكِ اتصلي بها.

سهر: حسنا يا صغيري سأتصل بها، اتصلت سهر لكن لا أحد يجيب أيضا، آدم حزين، فلقد كان يمني نفسه بأن يرى ملك حب الطفولة البريء.

بعد لحظات تصل رسالة إلى هاتف سهر، إنها والدة ملك تعتذر وبشدة لأنها مريضة ومصابة بالبرد وقد اشتد عليها، ولن تستطيع الحضور.

سهر متحدثة إلى نيڤين: ملك لن تأتي.

نيڤين: إذن أخبري آدم حتى لا ينتظر ويحزن أكثر.

سهر: لا، ماذا تقولي!! إن علم فلن نستطيع أن نتكلم كلمتين بعد، وسنبدأ في سماع سيمفونية البكاء العذبة، وأنا أكاد أختنق وحدي، لا ينقصني بكاؤه.

ثم تلتفت إلى آدم تنادي عليه.. تعالى يا آدم لنأكل طعامنا، ثم ننتظر ملك ريثما تأتي، آدم: لا.. لن آكل حتى تأتي ملك ونأكل سويًا.

سهر: حسنا كما تشاء، انتظرها ولكن لا تبتعد كثيراً.

التفتت إلى نيڤين لتكمل معها حديثها وهي تلقي بهمومها، تارة تحكي وتارة تذرف عينيها عندما تتذكر مدى الألم النفسي الذي يسببه لها زوجها بقسوته.

عادل يفتح باب الشقة، يضع هاتفه ومفاتيحه على الطاولة وهو يتأمل أركان المنزل.

ما هذا الهدوء؟! أين ذهب الجميع؟!

ينادي على الخادمة (ميري-ميري)

(ميري فلبينية، حرصا عند اختيارها أن تكون غير عربية حتى لا تفهم ما يدور داخل منزلهم)

،Yes, sir
!؟ where is everyone
.They are all outside
!؟ How long
.Since two hours or more
. OK Go
.Do I put lunch
. no thanks
OK.

(الحوار مترجم) نعم سيدي.

أين الجميع؟!

كلهم بالخارج.

منذ متى؟!

منذ ساعتين أو أكثر.

حسنا اذهبي.

هل أضع الغداء؟!

لا، شكراً.

حسناً.

أخذ هاتفه وجلس على الأريكة يتمتم، لنرى أين ذهبوا دون سابق إذن مني ؟

ألو، يوسف أين أنت؟!

ولما لم تخبرني؟.. هل يكفي أن تخبر والدتك فقط؟ وأين هي والدتك؟

نعم مفهوم، خرجت لترفه عن حماقتها، حسنا، أنا سأتصل بها، وإياك أن تتأخر.

امرأة مستهترة، قالها وهو يغلق الخط مع يوسف في محاولة للاتصال بسهر.

يرن هاتف سهر وهي متعجبة، هذا عادل!!

لن أرد.

نيڤين: لما؟ ردي، ربما أراد أن يطيب خاطرك، أرجوك ردي عليه ولكن بهدوء، هيا، رفعت سهر الهاتف وهي تنظر لنيڤين نظرات الحيرة من كلامها، كيف لعادل أن تكون تلك نيته إن لم تكن نيته مزيدا من التوبيخ؟!

ترد سهر بقليل من الحزم مخلوط بالغضب: نعم (بعد أن فتحت مكبر الصوت).

عادل: أين أنتِ؟!

سهر: في النادي.

عادل: ولما؟.

سهر: أحسست بالضجر وأردت أن أستنشق هواءً نقياً.

عادل: مما ضجرت؟!! ألن تكبري أبدا على تلك التصرفات الخرقاء؟ عودي الآن إلى المنزل وقومي بواجباتك تجاه أسرتك، وكفاكي طيشًا ووهما، كوني في المنزل على الفور ولا أريد أن أعيد كلامي ... ثم يغلق الخط.

سهر: أرأيت؟! أخطأت حين سمعت كلامك.

نيڤين: لا مشكلة، هو لم يقل شيئًا خاطئًا، كان يجب أن تعطيه خبر عند خروجك من المنزل، ربما هو منزعج لأنه عاد ولم يجدك، هيا لنذهب حتى لا تكبر المشكلة.

سهر: لن أذهب، وأرجوكِ كفي عن اختلاق أعذار له.

نيڤين: هيا يا سهر، لا تكبري الأمور، هيا لنأخذ آدم ونذهب.

تعدلت سهر في جلستها وهي تبحث بعينيها،آدم؟! أين ذهب؟!

تقوم مسرعة كالمجنونة، آدم، آدم.

نيڤين: لا تقلقي، ربما ذهب للألعاب، هيا لنذهب ونأتي به.

اتجهتا إلى الألعاب، تنظران وسط الأطفال، تبحثان عن آدم، فمنذ مدة ليست بالقصيرة وآدم لم يظهر بجانبهما، ولم تنتبها إذ كانتا مستغرقتين في حوارهما.

***

(٦)

على الطريق في الجانب الآخر طفل بوجه ملائكي جماله يجذب الأنظار، نظراته تأخذ الألباب.. يقطع طريق السيارات، بينما تأتي سيارة مسرعة تكاد أن ترديه، تسرع شوقية لتلتقطه بسرعة، حتى كادت أن تسقط أمام عجلات السيارة.

وصلت إلى حافة الرصيف، ضربات قلبها تكاد تسمع من مكان بعيد، تنظر إلى الطفل في ذهول، هل أنت بخير؟!

أين أبويك؟!

ثم تحتضنه بشدة، فقد سُحرت بجمال عينيه، وركنت الى نظرته الناعمة التي تحمل معانٍ مختلطة من الحزن والبراءة.

آدم: أنا أبحث عن ملك.

شوقية: ومن تكون ملك؟!

آدم: صديقتي، وأنا وعدتها بالزواج وسأنظف معها البيت، وأرتب لها السرير كي لا تتعب، ولن أصرخ مثل أبي.

تبسمت شوقية لبراءته ابتسامة صافية: ما رأيك في أن نذهب لوالديك أولا؟.

آدم: لا.. أريد أن أذهب لملك أولاً.

وقفت شوقية شاردة الذهن وهي تمسك بيده، فقد بدأت نفسها تراودها أن لا تترك ذا العينين الجميلتين الذي وضعها القدر في طريقها لحكمة، ثم نطقت في سرور، إذن سآخذك إلى ملك، ما رأيك؟!

هز رأسه بسعادة بالغة أن موافق.

انطلقت شوقية تجري بآدم، هيا أسرع،

والسائق ينادي من سيارته (نفر مصر – نفر مصر).

***

(٧)

سهر بدأت تتوتر جدا والقلق يسيطر عليها بقوة.

نيڤين: لا تقلقي، هناك أمن على البوابة اهدأي، سوف نجده.

بعد بحث دام أكثر من ساعتين وقد بحثتا في كل شبر في النادي مرارًا وتكرارًا واستنفر معهما عدد كبير ممن رأوهم يبحثون.. لم تسفر كل تلك الجهود عن آدم، كأن الأرض قد ابتلعته.

بكاء هيستيري معه بعضًا من النحيب، ماذا أفعل؟ هل ذهب آدم ولن يعود؟!

رجل الأمن: اهدأي أرجوك.

سهر: كيف أهدأ؟ هل خرج ابني من البوابة وحده، أم برفقة أحدهم وأنتم نيام؟ سوف أقدم فيكم شكوى، فقد ضاع ابني بسبب إهمالكم.

رجل الأمن: نحن نعيد تصوير البوابات ولا داعي للقلق، وسوف نعرف متى ومع من ذهب.

الجميع يرقب الكاميرات وعلى أي جزء من الشاشة سيظهر آدم، لحظات مرت على سهر وكأنها أعوام من القلق والخوف من المجهول.

في الدقيقة ٤:٤٩:٣٢ يظهر آدم عند بوابة خروج السيارات –التي تقبع في نهاية النادي – وحيدًا ليس معه أحد، يتجه ناحية البوابة ثم يخرج إلى طرف الشارع الذي يتجه إلى بداية العمران، ثم يختفي.

الحمد لله بدأ الجميع يهدأ قليلاً فلم يختطفه أحد.. هذا ما أسعد رجال الأمن رغم قلقهم على الطفل، ولكن بهذا ألقيت المسؤولية من على أكتافهم في خطف الطفل الذي لو خطف لتسبب ذلك في تشويه صورة النادي وفضيحته.

انتقلوا على الفور للكاميرات الخارجية على نفس ضبط الوقت، حيث التقطت آدم وهو يتجه إلى المدينة، ثم غاب في الطريق الذي يفصل بين النادي والعمران.

رجل الأمن: آسف، يا مدام لا أستطيع فعل شيء أكثر من ذلك.

خرجت سهر تركض تتبعها نيڤين.

سهر: سأتصل على يوسف.

تحدث يوسف في الهاتف وهي تصرخ.

يوسف: خيرا يا أمي ماذا حدث ؟!

أهدأي قليلًا حتى أستطيع سماعك بوضوح، لا أفهم شيئًا.

سهر ابتلعت دموعها قليلا حتى تتمكن من الكلام بوضوح:

آدم اختفى ولا أستطيع إيجاده.

يوسف: ماذا؟!!! كيف اختفى وأنتِ معه،حسنا،حسنا، أين أنتِ؟!سآتي على الفور.

على الفور اتجه يوسف ومعه أحمد وعلي وأسامة أصدقائه إلى حيث توجد والدته.

نزل يوسف من سيارة الأجرة على عجل ليجد أمه تجلس في الشارع وهي تندب حظها وتنعي ولدها، والناس حولها يبذلون ما في وسعهم للتخفيف عنها.

يوسف: هل بلغتي الشرطة.

سهر: نعم إدارة النادي قامت بالإبلاغ ولم يأتي أحد حتى الآن.

يوسف: سأقوم بالبحث بنفسي. هل أخبرت أبي؟!

سهر: لا.. ماذا سأقول له؟!

يوسف: حسنا سأتصل به في الطريق.. عودي إلى المنزل هيا

نظر إلى خالته نيڤين قائلاً: هيا يا خالتي نيڤين خذيها للبيت.

أوقف لهما سيارة أجرة وضع أمه فيها مع خالته، وانطلق يعدو مع أصدقائه ومن تبرع للبحث معهم على خطى آدم، علّهم يجدوه في مكانٍ ما قريب.

في منزل سهر

بكاء، نحيب، أصوات عالية، صوت عادل يملأ المكان

ما هذا الهراء!! هل خرجتي لترفهين عن تفاهاتك وأضعتي آدم؟!

لماذا لم تتصلي بي؟ هل أنا في آخر قائمة من حولك أم ماذا؟!

أخبريني، (قالها وهو يصرخ ذهابا وإياباً، وسهر جالسة على الكرسي لا ترد عليه غير دمعاتها الحارقة ونحيبها الذي لا يتوقف)

نيڤين: أرجوك اهدأ يا دكتور، هذا ليس وقت للنقاش والعتب، لنجد آدم أولًا ثم نحل كل ذلك فيما بعد.. عادل: هل سأقف عاجزًا؟ أكاد أجن.

ينزع هاتفه من جيبه ثم يحدث يوسف الذي لم يترك بدوره أحداً لم يتصل به ليسأله عن آدم.. يغلق عادل الخط: سأبلغ الشرطة.

ذهب مسرعا إلى قسم الشرطة، لكن آدم لم يمضي على اختفائه ٢٤ ساعة، فهو لا يعتبر مفقود من وجهة نظرهم..وقف أمام قسم الشرطة عاجزاً لا يدري ما

يفعل، تمر من أمامه مخيلات في مجملها ليست جيدة، هل خطف؟! هل صدمته سيارة؟! هل هو تائه؟! يمسك رأسه بيديه، يكاد يجن لولا رنين الهاتف الذي أخرجه من دائرة الجنون.

إنه الحاج يسري والد سهر (رجل وقور، خلوق، هادئ الطباع إلى الحد الذي يطلق عليه مسالم، هو في السبعين من عمره، لم يرزق بسهر في وقتٍ مبكر.

عادل: وعليكم السلام.. نعم أنا أمام القسم في انتظارك.

ما هي إلا لحظات وكان الحاج يسري قد وصل ومعه خالد ومحمد وعاصم أبناء أخوه الذين يقطنون معه في نفس البناية، وهو لهم بمثابة الأب.

الحاج يسري: كيف حالك يا بني؟ ارتمى عادل في أحضان الحج يسري الذي يحبه كثيرا ويرى فيه حنان الأب الذي قد حرم منه وهو مازال صغيراً، والحج يسري يربت على كتفيه سنجده يا بني، سنجده يا بني إن شاء الله، التف حولهم الأخوة الثلاثة يواسونه ويذكروه أنهم معه ولن يتركوه حتى يجدوا ابنهم جميعاً.

أحس عادل بقليل من الراحة بعدما أخرج مكنونه العاطفي الذي كان يضيق صدره، وبدأ يفكر بهدوء.

اقترح خالد أن يتوزعوا ويبحثوا في المستشفيات، وافق عادل، ثم انطلقوا كل في طريقه .

(٨)

شوقية تفتح الباب بهدوء.. تدخل من الباب ثم تغلقه بحذر لتلتفت فتجد أمين ينتظر فوق الكنبة.. رافعاً قدميه، متكئا على إحدى يديه، عاقدا حاجبيه وكأنه أمين شرطة ينتظر أن يقبض على المتهم متلبساً.

شوقية: بسم الله الرحمن الرحيم، قالتها وهي تقفز من الفزع.

أمين: ماذا؟! هل رأيتِ عفريت من الجن؟ ومن هذا الضيف؟ هل أعطوك طفلاً تعويضياً بدلًا من المال؟

أم أنك لم تذكري لهم أنك قد سرقت ثلاثة أطفال؟

شوقية: اصمت، ما هذا الهراء؟! أرجوك اصمت الآن وسأشرح لك الأمر لاحقا، دعني أضع هذا الولد في الفراش ثم أخبرك بكل شيء.

وضعت شوقية آدم في الفراش، نومته بعد عناء لأنه مازال يسال عن ملك التي لم يذهب إليها، فأخبرته شوقية أن الوقت قد تأخر، وأنها قد نامت، وفي الصباح سيذهبون إليها حتى يخلد للنوم، نام آدم على أمل اللقاء الذي يشغل باله ولا يشغله شيء آخر.

خرجت شوقية تمشي على أطراف أصابع قدميها.

أمين: ماذا دهاك؟ هل أصبحت حنونة فجأة؟!

شوقية: اخفض صوتك أرجوك.

بعد أن قصت شوقية على أمين ما حدث، قام منتفضاً.

أمين: لا أراك الله خيراً، أنتِ ستذهبين بنا إلى التهلكة، هل حبك للأطفال وحرمانك من الحمل ذهب بعقلك؟! لن تنجي هذه المرة أبدا.

أوقعتنا في مصيبة ستجر علينا آثام ما فعلناه في الماضي.

شوقية: أرجوك قف بجانبي، وأعدك أنها ستكون آخر مرة.

أمين: هل تدركين ما فعلتي؟ هؤلاء النائمون بالداخل بشهادات مزورة سوف يأخذون منك أيضاً، وأنتِ ستهرمين بين جدران السجن.

تكلم أمين في حزم: هذا الولد يعود فوراً، غدا اذهبي حيث وجدته واتركيه هناك.

شوقية: لا.. لن أتركه، لقد أحببته ورأيت نفسي في عينيه..

أمين: أنتِ مجنونة؟! هذا كبير ويتذكر أمه وأباه ويعلم أنك لست أمه.

شوقية: سأنسيه أمه، إنه لا يتجاوز الست سنوات.

أمين: وكيف ستحلين مشكلة شهادة الميلاد؟!

شوقية: لم أفكر في هذا الأمر، ولكن أنت ستحلها.

أمين وهو يقف: لا.. لا.. لا.. مستحيل، انسي هذا الأمر، لقد حمدت الله أن أمر الاطفال الثلاثة مضى بسلام وسترنا الله، لن أعيدها أبداً، وكيف يعقل، هذا مستحيل.

سكت برهة ثم رفع إصبعه واقترب من شوقية يحدثها بهدوء وحزم وهو يقترب بإصبعه من وجهها، أعيدي الطفل وإلا فضحت أمر الباقين.

شوقية ببرود: هل نسيت أنك من زور الشهادات مع ابن عمك.

تتنهد شوقية: إذا أبلغت عني فلن أضيع وحدي.

التفت إليها أمين: أين المال؟! أخرجيه.

أخرجت شوقية المال ووضعته في يده باحتقار شديد.

أمين: هذا المبلغ ناقص!

نعم، لقد مررت واشتريت له ملابس وأطعمته.

وضع المال في جيبه وهو يتمتم: هذا ما كان ينقصنا، ثم رحل وأغلق الباب بقوة تحكي عجزه عن إقناع شوقية.

(في الوقت الذي تنام فيه شوقية بجوار آدم تتحسسه بسعادة بالغة وهي تردد: أنت هدية من الله لي، كانت سهر تهذي فوق وسادة آدم وسريره، وتمني نفسها وهي تحتضن وسادته بشدة أن يكون هذا حلم مزعج

(٩)

خرجت والدة سهر وأغلقت الباب برفق متجهة نحو الصالة، الساعة الثالثة فجرا والجميع جالسون في وجوم شديد.

سأل الحاج يسري: هل نامت يا حاجة؟!

الحاجة شكرية: قلبي عليك يا ابنتي كأنها فاقدة للوعي.

رد عاصم : وهو دكتور للمخ والأعصاب لا تقلقي يا عمتي، شكرية المهدئ الذي أعطيته لها قوي المفعول وستنام بإذن الله، ثم هب قائما مشيرا لإخوته بالنهوض.. تأخر الوقت نترككم في رعاية الله وفي الصباح الباكر إن شاء الله نكون معكم..الحاجة شكرية: أرهقناكم يا بني.

دكتور عاصم: سامحك الله يا عمتي، وهل يصح هذا الكلام؟

سهر أختنا وليس لنا سوى بعضنا البعض.

الحاجة شكرية: جزاكم الله خيرا يا ولدي.

مضى أسبوع من البحث، وآدم لم يظهر بعد ولا يعرف عنه شيء، وكأن الأرض قد ابتلعته.

سهر أدمنت على المنوم والمهدئات، فهي لا تستطيع أن تقاوم فكرة غياب آدم، وأنها السبب في ضياعه.

عادل ويوسف والجد يبحثون في كل مكان، ولكن لا فائدة، حتى الشرطة كانت قد بدأت البحث معهم منذ أيام ولكن دون جدوى.

في الصالة يجلس الجميع، الساعة الواحدة صباحا، الوقت قد تأخر ولكن نظام البيت قد تغير وتشابك، بل لم يعد هناك نظام أصلا.

أصبح الحزن والصمت والكآبة هم المسيطرون على ذلك المنزل.

الجميع مطرقًا يفكر في صمت مجحف وفجأة ... إنه الهاتف، قطع صوت رنينه صمتهم، الجميع يرفع رأسه وكأنه يفيق من سكرته.

يرد عادل: نعم.. يتحشرج صوته شيئًا فشيئًا

إن شاء الله غدا في الموعد سنأتي.

أنهى المكالمة والسماعة تسقط من يده كسقوط دمعاته التي انحدرت تجري على وجنتيه في صمت ووجوم.

الحج يسري يمسك بيده ويجلسه على الكرسي، خيرا يا بني؟ إن شاء الله. أرجوك تماسك.

ناوله يوسف كأسًا من الماء، تجرع قليلا.

ثم سأله الحاج يسري: خيرا يا بني؟.

عادل: وجدوا جثة آدم ويريدون منا أن نتعرف عليها غدا.

ضربت الحاجة شكرية صدرها بيديها:ماذا؟؟!

هل مات آدم؟

احتضنها الحاج يسري، انتظري يا حاجة، قد لا يكون آدم لا نريد أن نتوقع الشر قبل قدومه.

قام عادل يمشي بخطى ثقيلة، أثقلها الحزن والفقد والشك الذي يودي بصاحبه، وقف على باب غرفة سهر حيث اللا وعي.

هب الحاج يسري مسرعا ووقف أمامه: تريث يا بني، انتظر حتى الصباح.

نظر إليه عادل وهو شارد الذهن، يفكر في سهر، كيف سيخبرها؟!

يفكر في انها السبب بإهمالها، مقهور منها ومشفق عليها، بركان يغلي داخله أحاسيس متداخلة، وأفكار مختلطة.

في الصباح أفاقت سهر تتخبط في الأبواب والجدران، هل وجدتم آدم؟

هل عاد؟

الجميع ينظر إليها ولا ينطق بكلمة.

قام يوسف يحتضن أمه التي يحتاجها بشدة في هذه الفترة العصيبة، ولكنه لا يجدها، فهي غالبًا غائبة عن الوعي بسبب المهدئات.

أمي، لقد وجدوا آدم، لكن..!

سهر: ولكن ماذا؟ أين هو؟

عضت الجدة شفتيها سامحك الله يا يوسف، سامحك الله يا بني.

جرت سهر على عادل وكان طاقة الدنيا قد تجمعت فيها من جديد، تمسك بقميصه: أخبرني أين ابني؟

وهو يبكي ويواري وجهه عنها يمنةً ويسرى: اهدأي يا سهر.

سهر: لن اهدأ، أخبرني ماذا حل به؟!

عادل: نحن لم نعرف بعد.

سهر: ماذا يعني هذا؟!

عادل: اجلسي وسوف أشرح لكِ الأمر.

بعد أن أخبرها أصرت سهر على الذهاب.

أمام ثلاجة الموتى وقبل الدخول ترتجف سهر ويبدو عليها الدوار.. يمسك بها عادل، لقد اتفقنا يا سهر، تماسكي أرجوك.

حاولت أن تتظاهر أنها بخير، أخذت تخطو نحو الثلاجة، ومشاعرها متشابكة ككومة الصوف، لا تعرف أتفرح لأنها عرفت طريقه، أم تحزن لأنها فقدته؟

لكن قلبها كان ينبض يا رب، يا رب مع كل خفقة.

كشف المسؤول الغطاء عن الطفل الذي يبدو عليه نفس عمر آدم.. ارتجفت سهر بقوة، عادل ليس هذا ابني

المسؤول: تأكدي يا مدام جيدا أرجوك.

سهر:أنا متأكدة، آدم شعره أشقر، وهذا الطفل شعره أسود.

خرجا من هناك يحمدان الله أنه أمدهم بالأمل من جديد، الأمل الذي يبقينا أحياء أحيانا، ولولاه لمتنا قبل أن ندفن بسنوات طوال.

***

(١٠)

في منزل شوقية ...

آدم مريض جدا ويهذي من شدة الحمى، يردد أمي، ملك، يوسف

أين أنتِ يا أمي؟! نظرت إليه شوقية وهي تشفق عليه، لكن حبها لنفسها ولرغباتها التي لا تتنازل عنها كان أقوى.

أمين: يا بنت الناس أعيدي هذا الولد، ارحميه وارحمينا، أقسم أنكِ لن تعودي حتى تخربي هذا المنزل وتهدميه فوق رؤوسنا.

شوقية: اصمت أرجوك..لقد أنهينا النقاش في هذا الموضوع، لن أعيده وانتهى.

أمين: أليس لديك قلب؟ ألا تري حالته؟

شوقية: سيُشفَى وسيتعود.

أمين وهو يرمي ما في يديه أرضا:

أنتِ مريضة نفسيا، أكره نفسي عندما أتذكر ارتباطي بك.

***

(١١)

يوسف .....

بعد مرور شهر من غياب آدم الذي لا يُعلم كم سيطول بعد، أهمل يوسف دروسه إهمالًا شديداً، وأصبح الشارع ملاذه الوحيد لتخفيف آلامه، حتى سهر بالكاد تراه، فهي الأخرى مشغولة بذكرياتها وبكائها بين الفينة والأخرى، تذهب كل يوم إلى آخر مكان التقطته الكاميرات لآدم، تبكي وتندب حظها ثم تعود بعد أن تيأس من أن تجده.

الخلاصة: لا أحد يسأل عن أحد.

يوسف بدأ بالتدخين الذي دله عليه رفقاء السوء وأنه سينفس عنه.

عادل لا يعجبه الحال، لكنه خائف، لا يريد أن يضغط على يوسف حتى لا يخسره هو الآخر.

تمضي الأيام والامتحانات تقترب .

ذات يوم فتح عادل الباب على يوسف الذي عاد باكرًا ودخل غرفته سريعًا،

عادل: يوسف ألن تذاكر يا بني، الامتحانات أصبحت على الأبواب؟

أجابه يوسف وهو يضحك ضحكات غريبة ويهذي هذي المخمور:

نعم، نعم ،بالطبع سوف أذاكر، ولما لا؟.

أغلق عادل الباب وهو في صدمة شديدة، ما هذا؟!

أهذا خمر أم ماذا؟

كيف أتأكد من الأمر؟

بقي طوال الليل لم يغمض له جفن كيف يتصرف وماذا يفعل؟!

توضأ وصلى ركعتين ولجأ لله أن يرفع عنه غضبه، وأن يعيد له آدم سالما ويحفظ يوسف من الشرور.

بعد أن أنهى الصلاة شعر بشعور غريب يجول بين أضلعه.

فهذه أول مرة يصلي فيها من أجل أن يدعوا لأبنائه.

أين كنت طوال هذه السنوات؟ ماذا فعلت بنفسي وبأبنائي؟

هل قسوتي الزائدة مارستها معهم حتى بيني وبين نفسي؟!

عزم بعد ذلك الندم ألا يدع يوسف يضيع من بين يديه.

في الصباح اعتذر عن الحضور للجامعة وخرج يتخفى وراء يوسف الذي لم يسلك طريق المدرسة، حتى كانت الكارثة.. إنه يتعاطى المخدرات، كيف لا وقد استغل أصحاب القلوب المريضة، والضمائر المنعدمة حالته ووضعه النفسي، ووسوسوا له أن هذا سيخرجه من ضيقه وضجره.

الجرعات الأولى مضمونة أنها مجانية، حتى تقع الفريسة في شباك العنكبوت التي نسجها بإتقان، فإذا أراد بعد تمكن السم من دمه أجابوه.. لا مزيد حتى تدفع ثم تأخذ ما تريد.

إنهم شياطين الإنس وتجار الخراب الذي لم يحط بيوسف وحده بل بالآلاف من أبنائنا ممن أرادوا هدم أمتنا وتحطيمها بأيدينا.

انتظر عادل حتى خرج يوسف للطريق منتشي، فلقد تناول جرعة السم لتوه، مشى بجانبه بالسيارة، ثم توقف عنده وفتح النافذة وناداه، اركب يا يوسف، ركب يوسف والسعادة تسيطر عليه، ذهب عادل به بعيدا حتى يستطيع أن يتكلم معه بسعة.

عادل: أين كنت يا يوسف؟! ومن هؤلاء الأوغاد الذين ذهبت إليهم؟!

أطرق يوسف.

عادل: هل تتعاطى شيئًا يا حبيبي،أخبرني يا يوسف، أرجوك يا بني ولا تخف، أخبرني حتى أستطيع مساعدتك قبل أن تضيع كما ضاع آدم، تكلم ولا تخف، أعدك أنني سأساعدك دون تأنيب.

يوسف خائف ولا يصدق أباه.

قام عادل متجهًا نحوه ويوسف يبتعد قليلا قليلا وعادل يقترب أكثر، حتى انقض عليه يحتضنه بشدة وكأنه يخشى أن يفقده، يبكي بحرقة كما لم يبكي من قبل، أحس يوسف، صدق حنانه فبكى هو الآخر بكاء مريرا.

بدأ يوسف بعدما أحس بالأمان يحكي لأبيه ويقص على أسماعه كيف بدأ، وكيف أنهم أعطوه في البداية جرعات دسوها داخل كوب من العصير حتى أدمنه، ثم بدأوا يراودوه حول المال الذي هو هدفهم الأسمى.

عادل: من أين لك كل تلك المبالغ؟!

تردد يوسف.

عادل: أرجوك يا بني صارحني حتى أستطيع أن أساعدك، هيا لا تخف، اتفقنا أننا منذ الآن أصدقاء، فلا داعي للخوف إذن.

يوسف: لقد أخذت جزء من مصوغات أمي، وكذلك مبلغ من درجها دون أن تدري.

إلى هنا توقف عادل وبدأ يفكر كيف، سأعالج الأمر؟! على الفور ذهب به إلى إحدى المصحات في القاهرة، كان يقود السارة بشيء من الجنون.

وصلوا إلى المستشفى، دخلوا ويوسف في أتم قناعته، قصوا ما حدث على مسامع الدكتور، طلب منهم أن يحتجزوا يوسف، وبالفعل وافق عادل على الفور وتركه مودعاً له مستحفظاً الله الذي لا تضيع عنده الودائع.

كانت فرصة طيبة حتى يعاد تأهيل يوسف من جديد نفسياً وجسدياً ليخرج للنور من باب المصحة شخص آخر غير الذي دخل، شخص جديد مستقر نفسيا وعاطفيا، سوي كباقي الأسوياء في حياتنا وما أقلهم، وما أكثر ضغوط الحياة وويلاتها على البشر.

***

(١٢)

في مدرسة يوسف بعد مرور سنة على اختفاء آدم وفي حفلة انتهاء الدراسة التي تقيمها المدرسة سنوياً... تجلس سهر إلى جوار عادل كصورة في برواز دون أدنى شعور نحوه، فقد قتلها تجاهله وأودى بابنها.. هي تحمله مسؤولية ضياع آدم كما يحملها.

تلمع في عينيها نظرة الحزن، رغم أنه في مجملها تبدو متماسكة، وهذه إحدى نعم الله تعالى على البشرية جمعاء أن جعل كل شيء يولد صغيراً ويكبر، عدى الحزن يولد كبيرا ثم يندثر شيئًا فشيئًا حتى لا يبقى في النفس منه إلا بقية باقية توخز صدورنا بين وقت وآخر.

نيڤين تتصل بسهر، الهاتف يرن ولا تستطيع سماعه، تتصل مرة أخرى وأخرى حتى بلغت الثلاثين مرة.

ولكن سهر الغارقة في ماضيها لم تنتبه.

بعد انتهاء الحفلة تتفقد سهر هاتفها، ما كل هذه الاتصالات، خيراً، أرجو ألا تكون قد أصيبت بمكروه، تتصل سهر على نيڤين ترد من الرنة الأولى

نيڤين: أين أنتِ يا سهر؟! لابد أن أراكِ في الحال.

***

(١٣)

في (الميكروباص) شوقية تصطحب آدم بعد أن اطمأنت أن لا أحد يبحث عنه بعد كل تلك المدة، وأن أمره قد نسي، تعامله بلطف، لكن يبدو على الطفل الضجر والحزن الذي تحكيه عينيه قبل لسانه، توقف الميكروباص على جانب الطريق عند شارع العشرين في منطقة فيصل التي تقطن شوقية في بدايتها، تسال امرأة السائق، هل تذهب إلى جامعة الدول.

يجيب السائق: لا.

ترد عليه: إذن هل من الممكن أن تدلني على مكان الركوب، فأنا غريبة عن القاهرة، وكعادة شهامةالمصريين حينماعرف أنها غريبة عن القاهرة أشار إليها بالركوب وهو يدلها على الطريق وينزلها عند محطة الركوب إلى حيث تريد، شكرت له صنيعه وركبت بجوار شوقية التي رفعت بدورها آدم فوق رجليها كي تفسح المجال للراكبة الجديدة.

لكن الراكبة أصيبت بشيء من الذهول والدهشة وهي تنظر إلى آدم، وتحدث نفسها، هل هذا هو الولد الضائع الذي رأيت صورته مع جارتنا نيفين؟!

ربما يشبهه، سبحان الله، لكن كيف يكون التشابه إلى هذه الدرجة ؟!

نعم.. أنا أتذكر شكله جيدا، لم أفقد ذاكرتي بعد.

كان هذا حوار داخلي وحيرة وشك هل تصمت؟! هل تتكلم؟! كيف تتصرف؟!

لكن هذا الولد يبدوا شاحبًا وباهتًا غير الذي كان في الصورة، أخيرا استجمعت قواها وسالت ما اسمك يا بني؟

طبعا لم تعطه شوقية فرصة للرد فلقد لاحظت نظرات المرأة لآدم وشرود ذهنها، أجابتها على الفور وما شأنك في هذا؟ تعجبت صفاء (هذا هو اسم جارة نيفين) من توتر شوقية وبدأت تتأكد أنه آدم.

صفاء: مما تخافين؟

شوقية:لا أخاف من شيء، لما أخاف، هل اختطفته مثلا؟ إنه ابني.

يا الله.. هكذا هم دائما المذنبون وأصحاب الكذب لابد وأن يقعوا في شراك كذبهم.

بدأت صفاء تصرخ داخل السيارة توقف لو سمحت عند أقرب عسكري تجده، هذه المرأة خطفت هذا الولد وأنا أعرفه.

هرج ومرج داخل السيارة، اضطر معه السائق أن يقف عند أقرب عسكري مرور.

شوقية بدأت تتوتر جدا ويتصبب عرقها، نزلت المرأة تمسك بتلابيب شوقية وشوقية تحتضن رأس آدم الذي أخذ يبكي خائفا، لا يفهم ما يحدث، على الفور، فكرت شوقية وأخرجت من جيبها مبلغ لا بأس به من المال ودسته في يد عسكري المرور خلسة، والمرأة مذعورة تقص الحكاية على مسامع العسكري.

قاطعها العسكري الذي اطمأن جيبه: هل تعرفيه شخصيا؟

صفاء: لا.. ولكن جارتي صديقة والدته ولقد رأيت صورة الولد معها.

قاطعها: ما هذه التفاهة هل تتهمين الناس دون دليل حتى أنك لا تعرفينهم، انطلقت شوقية تهرول مبتعدة ممسكة بآدم في يدها وتسرع به في المشي، أخرجت صفاء هاتفها على الفور وأخذت تركض خلف شوقية تريد أن تصورها وتصور الولد، لكن شوقية منتبهه لمثل تلك الأمور لذلك غطت أغلب وجهها بخمارها ولم ترفع رأسها حتى لا تعطها فرصة للتصوير.

حاولت صفاء أن تلتقط صورة فلم تخدمها سوى صورة لآدم الذي كان ينظر للخلف وهو يهرول مع شوقية.

اتصلت صفاء على نيڤين بعدما عجزت وقصت عليها ما حدث.

صرخت فيها نيڤين: لما تركتها ترحل؟

لِمَ لم تصرخي وتجمعي حولك الناس؟ كيف هو شكل تلك المرأة؟

صفاء: للأسف لم أستطع تصويرها.

نيڤين: وماذا استطعت يا صفاء؟ هل أنتِ مدركة لما فعلت؟

صفاء: انتظري يا نيڤين لا تهاجميني هكذا، أنا ما اتصلت بك إلا بعد أن استطعت أن ألتقط صورة للولد، هي ليست واضحة، ولكن أعتقد أنها ستفي بالغرض، اغلقي وسوف أرسلها لك فورا على WhatsApp.

أرسلت صفاء الصورة، فتحتها نيڤين وهي تقف من مكانها من هول المفاجأة نعم إنه آدم، لم تتوقع أن يكون هو، الحمد لله الذي لا يقطع منه أمل أو رجاء، ثم خرت ساجدة شاكرةً لله أن آدم مازال على قيد الحياة.

***

(١٤)

في منزل نيڤين الذي هرولت إليه سهر وزوجها ظنا منهم أن مصيبة قد حلت على رأس نيڤين، تفتح نيڤين الباب ووجهها لا يفسر، فحتى هي لا تعرف هل تفرح أم تحزن.

سهر وهي تتحسس وجه نيڤين بيديها: خيرا يا حبيبتي، هل أصابك مكروه؟.

نيڤين: أنا بخير تفضلوا، ثم قبلت سهر، لا تقلقي، خيرا إن شاء الله.

ماذا تشربون أولا؟

سهر: لا نريد أي شيء، هاتي ما عندك، لقد أفزعتني.

نيڤين: لا، لابد من أن نشرب شيئًا، حتى من أجل يوسف حبيبي.

شكرها يوسف وطلب منها عصير، أحضرت العصير مع فنجانين من القهوة، بعد أن شرب عادل القهوة بادر بالكلام: أشكرك على القهوة يا نيڤين.

ثم التفت لسهر: سوف أترككم وأذهب أنا ويوسف لتأخذوا راحتكم، الحمد لله قد اطمأنينا على نيڤين، ولابد أن لديها ما تخبرك به، هيا يا يوسف.

نيڤين: لا.. لا

انتظر يا دكتور، الموضوع يخصكم أنتم، لابد من وجودك، عندي كلام مهم لكما.

يجلس عادل: خيرا إن شاء الله.

فتحت نيڤين هاتفها وهي تردد إن شاء الله كل الخير ، قلبت هاتفها تجاههم، انظروا إلى تلك الصورة وأمعنوا النظر.

قلب سهر يرجف بقوة داخل صدرها.. بلسان ثقيل،آآآدم.، إنه آدم.

أين وجدته؟! من أرسل لك تلك الصورة؟! في أي مكان ذلك؟!

حالة من الهستيريا سيطرت عليها، قامت نيڤين تحتضنها، اهدأي يا سهر وسوف أحكي لكم ما حدث.

عادل: اهدأي يا سهر حتى نتمكن من فهم التفاصيل.

بعد أن قصت نيڤين على مسامعهم ما حدث مع صفاء، صاح يوسف يبكي في شجن: آه يا حبيبي

كيف تركناك كل تلك المدة مع تلك السافلة.. أقسم أن أقتلها، عادل يهب مسرعا يلملم يوسف إلى أحضانه، اهدأ يا بني، الحمد لله، على الأقل تأكدنا أنه على قيد الحياة، سهر تمسك بتلابيب عادل وتجره نحوها: أريد ابني، أرجوك أريد آدم ... ثم تسقط فوق الأرض شبه فاقدة للوعي .

***

(١٥)

شوقية على عجل تلملم أمتعتها وتضع بعضًا من الملابس في الحقائب، فهي ستغادر بعد ما حدث، وجودها في القاهرة أصبح خطراً عليها، ولكن إلى أين ستذهب؟!

لم تفكر بعد .... اتصلت بأمين، حضر مسرعا على عجل بعدما شعر من صوتها أن هناك مصيبة قد وقعت.

حكت شوقية لأمين ما حدث فور مجيئه، وقررا أن يرحلا متجهين إلى الإسكندرية حيث يعيش قريبا له وسوف يجد لهم ملجأ بعيدا عن الأعين حيث لا يصل إليهم أحد.

بعد منتصف الليل غادرا في جنح الظلام دون أن يشعر بهم أحد حاملين حقائبهم ومعهم أربعة أطفال لا ذنب لهم سوى أن القدر وضع شوقية وأمين في طريقهم.
وصلوا إلى مكان بعيد كان قد اتفق عليه أمين مع قريبه سعيد حيث ينتظره بسيارته الأجرة .

***

(١٦)

انطلق عادل بسيارته مع يوسف بعد أن اطمأن على سهر وتركها مع نيڤين إلى قسم الشرطة معه الصورة التي التقطتها صفاء.
في غرفة المأمور شرح عادل ما حدث وما سمعه من نيڤين، طلب المأمور استدعاء صفاء حتى يسمع منها ما حدث تفصيليا، وفي أي مكان كان ذلك الحدث تحديدا، حضرت صفاء وقصت ما حدث تفصيليا وأكد عادل على كلامها بأن هذا ابنه رغم تغير مظهره وبهتانه، لكنه يعرف ابنه جيدا.

أجري المأمور اتصالاته بمركز شرطة الهرم حيث بدا البحث عن ادم من جديد.

مر أسبوع.. أسبوعان لكن دون أي جديد، فلم تعثر الشرطة على آدم أو المرأة التي اختفت تماما من القاهرة دون أن يشعر بها أحد ودون أن تترك أثرا خلفها، فما أمهرها وزوجها في إخفاء جرائمهم.

***

(١٧)

أقامت شوقية في أطراف الإسكندرية في مكان بعيد عن الأعين حيث لا احتكاك بأحد، في بيت شبه فقير، إمكانياته محدودة جدا، لكن شوقية رضيت بالأمر الواقع، وكان هذا أفضل من أن يلف حبل المشنقة حول رقبتها كما تردد، اتخذت إجراءات حماية وقرارًا صارمًا مع هذا الوضع فقد عزمت على أن تضع على النوافذ الحديد، وتوصد الأبواب بالأقفال، لا خروج لأي أحد من الأطفال مالم تكن ضرورة ملحة وخاصة آدم .

***

(١٨)

ذبل أمل سهر وانطفأ بريقه، أصبح غياب آدم يحرقها فهي تعلم أنه على قيد الحياة، ولكن أين؟

من هذه المرأة؟!

وكيف عثرت عليه، وأين؟

هل مازال يذكرني؟

ماذا حدث معه، وكيف وصل إلى تلك المرأة؟

زلزال من التفكير، وعلامات استفهام كبيرة لا تجد لها جوابا.

كل يوم يمر على غياب آدم يزيد داخلها ألم فراقه أكثر ويتشبث بقلبها اليأس.

لكنها لا تنسى أن عادل هو السبب، فهي تحمله مسؤولية ما حدث لها ولابنها، كيف لا وقد أمضت حياتها سعيا خلف لحظة حب وانسجام ممن حرمها الحب والحنان وضن بقلبه فأبقى، الحب لنفسه وبقيت روحها هناك معلقة معه حتى تجده فتسكن.

*****

تمر الأيام ثقيلة باردة كبرودة ليالي الشتاء القارص، عادل منكب على عمله أكثر وأكثر، يفرغ طاقته وحزنه المكتوم داخل أعماقه في عمله، يوسف يجتهد في دروسه، نظرته للحياة بدت أكثرجدية، كل يوم يصلي قبل أن ينام ليدعوا الله أن يحفظ آدم.

ينام ووسادة آدم بين أحضانه، هو لا ينساه، ولا يجد من يحتضنه ويخفف عنه الحزن، لكن الظروف حينما تضغط على الإنسان تجعله في بعض الأحيان يكبر فوق عمره أعوامًا.

سهر بدأت تغير من نظرتها للحياة، لم تعد تكترث لعادل وحبه المنشود، فهمها كان أكبر من الحياة بجملتها ...

تمر الأيام وتمضي السنين، ها قد أنهى يوسف الثانوية، وقد مضى على غياب آدم ثلاث سنوات لم تذق فيها أسرته طعم الراحة حتى وإن مارسوا حياتهم الطبيعية، لكن فقده كان منغصا قويا لحياتهم.

*****

(١٩)

سهر: صباح الخير يا يوسف.

يوسف: صباح الخير يا أمي.

سهر: متى ستظهر نتيجتك.

يوسف: اليوم إن شاء الله.

سهر: بالتوفيق يا بني.

في مساء ذات اليوم .

صوت القرع على الباب كأنه زلزال، خرجت سهر من غرفتها تركض: خيرا إن شاء الله.

تتبعها ميري تفتح الباب فإذا به يوسف لأول مرة وجهه سعيد منذ فقد آدم.

سهر: خيرا يا يوسف أفزعتني يا بني.

يوسف: حمدا لله يا أمي ظهرت نتيجة الثانوية.

سهر: خيرا إن شاء الله، وكم هي نسبتك.

يوسف: ٩٦٪ ، قالها وهو في غاية السعادة، فلم يتوقع أبدا أن تكون نسبته مرتفعة بهذا القدر.

سمعت سهر المعدل، احتضنته وباركت له، لكن لم تظهر عليها الفرحة بالشكل الكافي.

يوسف في صدمة: ألم تفرحي يا أمي؟!

سهر: بلى، فرحت يا حبيبي، مبارك عليك.

يوسف: لكن لماذا لم أشعر بفرحتك؟

سهر: ماذا تريد مني يا يوسف، هل أرقص أم أغنى؟

ألا تعلم أن الفرح أصبح حرام علي حتى يعود أخوك؟

يوسف لا يصدق، فهو ما تعب وما اجتهد إلا من أجل أن يزيح عنها حزنها، انسحب في صمت محفوف بالوجع والهزيمة، دخل غرفته وأغلق بابها .

****

(٢٠)

شوقية في غضب: لا بد أن تجد حلًا، لن أخرج للسرقة مجددا.

أمين: وكيف ستعيشون أنتِ وهؤلاء.

شوقية: عندي ما يكفيني لو ابتعدت عني.

أمين: لماذا أبتعد عنك؟ هل أصبحت الحب المنسي؟ أم أنك عزمتي على كرهي؟

شوقية: حبك الذي ضيعت نفسي من أجله كلفني الكثير والكثير، خسرت الدنيا والآخرة لأجلك، وآن لك أن تخرج من حياتي وإلى الأبد.

أمين: أنتِ لا تستطيعين الابتعاد عني دقائق، فهل ستتحملين بعدي عنك إلى الأبد، قالها متهكماً واثقا من عشق شوقية له الذي ما أحسن استغلاله يوما.

ردت عليه شوقية في حنق وغضب شديد:

سوف ترى كيف سأعيش من دونك، سأتعلم كيف أنساك.

لم تكن تعلم أن القدر قد أنهى نسج الكفن له، وأنها آخر مرة تراه فيها.

خرج أمين وهو ينفخ دخان السجائر في وجهها وكأنه يعاتبها بنظراته الحادة لها دون أن ينطق بكلمة واحدة.

انقضى اليوم، وضعت شوقية العشاء للأطفال الأربعة، لكنها لم تأكل، تشعر بثقل في قلبها وانقباض لا تعلم ما سببه.

تتنهد: سامحك الله يا أمين.. لا تترك خلفك إلا الوجع.

يُطرق الباب في تلك اللحظة.

فتحت شوقية الباب:

سالم، مرحبا كيف حالك؟

سامحني فأمين ليس هنا، لم أدعوك للدخول، هل أستطيع مساعدتك؟

سالم: أريدك أن تأتي معي في مشوار.

شوقية: خيرا، أي مشوار في هذا الوقت المتأخر؟ لا أستطيع أبدا، انتظر حتى يأتي أمين ويذهب معك هو، أو اتصل عليه بالهاتف.

سالم: أمين لن يأتي.

شوقية: لماذا؟ هل أخبرك أنه لن يأتي؟

سالم وقد بدأت الدموع تخنقه، أمين .

شوقية تنظر إليه، تنتظر أن يتكلم، لكن دموعه أقوى.

شوقية: ماذا هناك؟ هل أصابه مكروه؟

أرجوك أخبرني ماذا حدث؟

سالم: أريدك أن تتماسكي، لا أعلم كيف أقولها ...

شوقية:

ماهي؟.

بدأ صوتها يعلو، والقلق والتوتر يعلو معه.

سالم: أمين صدمته سيارة كبيرة وكان ماشيا عكس الاتجاه بدراجته النارية، ثم....

قاطعته شوقية: هل أصابه مكروه.. أين هو الآن؟!

سالم: للأسف.. أطرق برأسه، فالكلمات ثقيلة والحزن عميق (فلم يكن أمين له ابن عمه فحسب بل كان الأخ والسند).

شوقية: للأسف ماذا؟! لماذا لم يأتي معك؟! وهل هو في المستشفى؟!

سالم: للأسف صعدت روحه في مكان الحادث، لم يستغرق بعد الصدمة سوى دقائق ولفظ أنفاسه الأخيرة هناك على قارعة الطريق.

هنا غابت شوقية عن الوعي، فتحت عينيها لتجد نفسها فوق سريرها وبجانبها هند زوجة سالم.

هند: الحمد لله على سلامتك، كيف تشعرين الآن؟!

شوقية: أين أمين؟ هل كنت أحلم؟! أين أمين؟!

أخذت تصرخ وتولول، وهند تحتضنها، استعيني بالله، اهدأي يا حبيبتي، أزمة وتمر إن شاء الله، تماسكي من أجل أبنائك.

تذكرت شوقية آخر كلمات بينها وبينه، شريط الذكريات يمر أمامها ..... ثم تصرخ. لا.. لا.. لا

لم أكن أقصد يا أمين، ليس هذا ما أردته.

هند: قضاء الله وقدره يا شوقية ولا بد من الصبر.

بعد مرور أسبوع كانت شوقية قد بدأت تتماسك قليلا، وثورة الحزن ذهبت ريحها العتية ولم يتبقى منها سوى أثار دمارها وخراب ما خلفت ورائها في قلب شوقية المحطم.

آدم قد اعتاد عليها وعلى إخوته، وهو يعلم جيدا أنهم ليسوا إخوته ويعلم أنها ليست أمه كما تدعي وكما تجبره على قول أمي لها، لكنه يرى حزنها وآلامها ويحاول أن يخفف عنها كأي طفل بريء يزعجه ويكدر خاطره حزن من حوله .

شوقية تفكر في أمره دائما رغم حزنها، تشعر بالكثير من الأسئلة في نظراته لها، وهذا يزيد من حزنها الذي لُفت بردائه وتتمنى لو أنه كابوسًا وينتهي لتخلع ذاك الرداء الذي تعلم يقينًا أنه سينهي أمرها .

***

(٢١)

في غرفة يوسف.. يجلس فوق سريره يطالع الجامعات وحده ويقارن بينها، أي جامعة سيرتاد ... صوت قرع الباب.

يوسف: تفضل.

يدخل والده: كيف حالك يا بني؟

يوسف: بخير يا أبي.

عادل: ماذا تفعل؟

يوسف: أبحث عن الجامعات وأقرأ عنها لأحدد أين سأكمل مشواري.

عادل: أنا تركتك يومين كي تكون خارج دائرة الضغط وتقرر بنفسك ماذا تريد.

يوسف بنبرة عتاب: كان بإمكاني أن أقرر معكما، لكن يبدو أنكم آثرتم البعد.

أحس عادل بالحزن العميق في حشرجة صوت يوسف، أومأ برأسه قليلا ثم قال له: يوسف أنت رجلا الآن، وأنا أفتخر بك، مررت بصدمات كثيرة وكبيرة على سنك، تجاوزتها بعزيمة وثبات، وأرى أنك قد انتصرت على نفسك يابني، فلا تهزمك حزمة مشاعر أنت أكبر من أن تقف عندها.

يوسف: هل إحساسكم بي وإحساسي بوجودكم حولي مشاعر تافهة يستهان بها يا أبي؟!

إن كانت هذه وجهة نظرك للموضوع فأنا أحترمها، لكن احترامي لا يخفف وجعي.

تركه عادل بعدما عجز عن الرد، لأن طبيعته تأبى النقاش المطول وكثرة الكلام ما يعتبره في وجهة نظره (دلع) وهذا لا يليق بالرجال.

لكن وفي نفس الوقت انطلق إلى غرفته، أراد التحدث مع سهر حول ما قاله يوسف، وجدها تتحدث في الهاتف مع نيڤين صديقة العمر، انتظر حتى انتهت من مكالمتها بعدما أغلقت الهاتف سريعا، حينما أحست بالكلام في فمه.

سهر: خيرا يا عادل، هل هناك ما تريد قوله؟

عادل: نعم.. خيرا إن شاء الله.

سهر: ماذا هناك؟

عادل: يوسف.

سهر: وماذا به يوسف؟

عادل: يوسف حزين لأننا قصرنا معه في إظهار فرحتنا بنجاحه واهتمامنا بمستقبله.

سهر: وما المنتظر مني شخصيًا، أن أعلق البالونات وأعد الحفلات مثلا؟

أي هراء هذا، يكفيني ما أنا فيه من الحزن.

عادل: ولما أنتِ حزينة ؟! (قالها في تهكم)

سهر: هل هذا سؤال أم إخبار تهكمي؟

عادل: لا.. أنا أسأل.

سهر: حزينة كما أنك حزين أم أن فقد ابنك لم يحزنك؟!

عادل:نعم.. لقد أحزنني وأحرق كبدي،ولكن؛ أنتِ من أضعته، فلما الحزن!.

لما لم تهتمي به وتضعي عينك عليه، وما كنا تعرضنا لكل تلك الهموم.

سهر: إذن، أنت تلقي اللوم علي الآن بدلًا من أن تلوم نفسك؟!.

عادل: وهل كنت معه وأهملته حتى ألقى اللوم على نفسي؟

يكفي أنني منذ ثلاث سنوات أبحث دون أن أحملك نتيجة إهمالك.

سهر: ولما لم تبلغ الشرطة عن إهمالي.

عادل: وهل هذا يعقل، فأنتِ زوجتي، ولا يصح أن تهتز مكانتي الاجتماعية بفعل مشين كهذا.

علت الدهشة سهر؟! من هذا الجالس أمامي؟! لم يكن ذاك أسلوبه في الحوار!

نطقت بصوت خافت: يبدو أنني أخطأت حين أكملت معك بعد كل ما تعرضت له بسببك.

نهضت من مكانها، أخذت حقيبتها ثم بدأت تجمع أغراضها وبعضاً من ملابسها.

دهش عادل: ماذا تفعلين؟!

(هذه أول مرة تقرر فيها سهر ترك المنزل منذ زواجهما)

أمسكت سهر بالهاتف، اتصلت بوالدها أمام دهشة عادل، لم يجب الحج يسري من أول اتصال، أعادت سهر الاتصال مجددا مرات عديدة (فالحاج يسري رجل مسن ينام مبكراً حتى يستيقظ لصلاة الفجر هو والحاجة شكرية).

عادل نادم على ما خرج منه: سهر استعيذي بالله من الشيطان الرجيم.

انتظري حتى الصباح، لا يصح أن تزعجي والديك في وقت متأخر.

يتكلم ويتكلم ولا تجيب عليه بكلمة واحدة، وكأنه غير موجود.

خرج يوسف من غرفته ليرى ما حل بوالده، فهو يسمع صوته ولكن لا يفسر كلماته.

يوسف: ماذايحدث؟! أمي إلى أين أنتِ ذاهبة؟! وما تلك الحقيبة؟!

رآها شاحبة ووجهها يملأه الحزن، أسرع يحتضنها، لكن سهر تدفعه بعيداً، قائلة: اذهب قبل أن أضيعك أنت الآخر.

يوسف: أمي لما كل هذا الغضب،اهدأي أرجوك.

سهر: لا تطلب مني الهدوء، فأنا في قمة هدوئي وهذا ما كان يجب على فعله منذ زمن.

أخذت دموع يوسف تنهمر بغزارة: ستتركينني لمن؟!

التفتت إليه سهر في قسوة: لأبيك يا حبيبي هو من سيرعاك ويحافظ عليك.

يوسف: أمي أرجوك.. تبتعد عنه ممسكة بالهاتف تضعه على أذنها: ألو.. عذرًا يا أبي آسفة لإزعاجك، أرجوك أرسل لي أحدا من عندك يأخذني لأن معي حقيبة كبيرة.

الحاج يسري: خيرا يا ابنتي ماذا حدث؟!

سهر: لا شيء يا حبيبي، عادل سيسافر وأنا سأنام عندكم الليلة.

الحاج يسري: مرحبا بك يا ابنتي في أي وقت، هذا بيتك، إذن سأتصل بأبناء عمك وأرسل لكِ أحدهم.

مع السلامة..

مع السلامة..

أغلقت الهاتف، ثم انتزعت حقيبتها وذهبت تنتظر في الصالون حتى تأتي السيارة.

بعد قليل، هاتف سهر يضيء، رفعته لترى من المتصل، إنه الدكتور عاصم، كان عائدًا من عيادته عندما طلب منه عمه الذهاب لسهر فلم يتردد، على الفور اتصل بها وأخبرها أنه دقيقتين ويكون أمام الباب.

قامت تحمل حقيبتها، حملها عادل عنها بعد محاولات بينهما ونزل بها. سلم عليه الدكتور عاصم وسأله عن أحواله وعن سفره المفاجئ ثم ودعه متمنيًا له سفرًا موفقًا.

التفتت إلى سهر وسألها: أين يوسف؟!

سهر: سيأتي غدا إن شاء الله.

أحس عاصم في صوتها الضيق، فلم يرد أن يسبب لها الإحراج، لكنه طلب منها أن لا تتردد إن احتاجت لأي شيء، فهو أخوها الكبير.

شكرت له مشاعره وودعته عند باب والدها بينما أكمل هو صعوده لشقته مودعًا لها وفي قلبه ألم، يتمتم بينه وبين نفسه (ليتك أحببتني كما أحببتك يوما يا سهر ولم تخرجي من ذاك الباب بقلبي وفرحتي التي ذهبت معك دون رجعة.)

(٢٢)

على مائدة الإفطار، تجلس نيڤين مع سهر في منزل والدها تتناول معها الإفطار، فقد كلفها عادل بزيارتها والحديث معها حول ما حدث بالأمس، فهم يعيشون فترة توتر ولا داعي لتحميل الأمر مالا يحتمل.

نيڤين: سهر، أريد الحديث معك بعد الإفطار على انفراد.

رمقتها سهر بنظرة باردة فهي تعلم ماذا تريد، بعد الانتهاء اتجهتا إلى غرفة سهر، وقفت نيڤين تتأمل في أركان الغرفة تتنقل بعينيها هنا وهناك، والذكريات تتوالى في مخيلتها والحنين يرسل قشعريرته إلى قلبها فتهتز ضلوعها في صدرها..: لم تتغير غرفتك يا سهر، كم قضينا فيها من لحظات جميلة، ذكريات لا تنسى.

تنهدت سهر: نعم أذكر، ليت الأيام لم تمضي، ليتنا نعود بالزمن عند تلك اللحظات ونتوقف.

استغلت نيڤين الفرصة: إذن ومن كانت ستتزوج حب الحياة ثم تعالت ضحكاتها.

سهر في حزم: عن أي حب تتحدثين، حب من طرف واحد في مهب الريح!!

نيڤين: لا يا سهر، جميعنا يعرف جيدا كيف يعشقك زوجك لكنه لا يجيد التعبير.

قاطعتها سهر: فات الأوان على هذا الكلام، فهمومي الآن باتت أكبر من كل شيء.

نيڤين: إذن لا نثقل على أنفسنا أكثر من ذلك، استعيذي بالله وهيا لنعد إلى المنزل.

سهر: مستحيل.

نيڤين: إذن ما رأيك في يومين تريحين فيهم أعصابك وتستعيدي طاقتك، وانا سآخذ الأذن من عادل في ذلك.

سهر: من؟ من الذي يأذن؟! وبأي صفة، ليس بيني وبين ذاك الرجل شيء بعد، الآن انقطع آخر خيط بيننا.

نيڤين: هذا كلام غضب، لا تتركي نفسك للشيطان، أعلم أنه قد جرحك بكلامه لكن، في النهاية هذا كلام، وأفعاله تثبت عكس ذلك، خوفه عليك يثبت أنه كلام ليس من قلبه.

سهر: نيڤين أرجوك لا تتعبي نفسك، هذا قراري.

نيڤين: ويوسف؟

سهر: ماذا به يوسف؟

نيڤين: هل ستتخلى عنه؟ هل تعرفي حالته النفسية بسبب ما حدث بالأمس؟! أخبرني والده اثناء اتصاله أنه لم ينم، ولم تجف دموعه، ارحمي ذلك المسكين.

سهر: أنا الآن أرحم به، سيتعود مع الوقت هو ليس طفلاً صغيراً.

نيڤين: كيف تكون تلك الرحمة مع كل هذا الضغط يا سهر، حتى لو افترضنا أن زوجك هو أسوأ رجال الأرض خلقًا، فأين تضحيتك من أجل فلذة كبدك؟

سهر: ها أنا ذا أضحي من أجله كي لا أضيعه مثلما أضعت أخيه من قبل.

غطت وجهها بيديها وانخرطت في البكاء.

أحست نيڤين أن سهر مرهقة نفسيا، قامت واحتضنتها برفق... لا تبكي يا حبيبتي.

ماذا تغير يا سهر؟! لِمَ انطفأ بريقك؟! لِمَ لم تعودي سهر التي طالما عرفتها متفائلة،قوية، عنيدة حتى تصل إلى غايتها، محبة للحياة؟

أين ذهبت تلك الفتاة؟

سهر: لم أعد أحلم كل صباح كما كنت في الماضي، ذاك الحلم الذي كان يبقيني على قيد الحياة، بل كان يمدني بترياق الحياة.

كنت أتمنى أن أجد من أحتمي به، كنت أحلم أني سأجد من يحبني حتى لا يحب أحدا غيري، فأعيش في ظله لا أحمل هما ولا أعرف سقماً.

كنت أظن أن من سيتزوجني سيغار علي من نسيم الهواء، وأشعة الشمس.

كنت أبحث عن الأمان، عمن يقيم كسري، ويشد عضدي، ويحفظ ظهري، من سيحميني من الأيام وحتى من نفسي، تخيلت يوما أنه سيكون عكازي على الطريق إذا اشتدت عليا وطأته..

كنت أنتظر من يكفيني من الحياة ما يكفي الرجال المكلفين أمانتهم.

كنت أحلم بالرجل الذي سيتباهى بحبي، ولم أكن اعلم إني سأكون حبًا وقتيًا يخجل أن يذكره حتى لا يتهم في رجولته ممن أرضعته الرجولة.

آه لو علمت لكنت سلكت مسلكًا غير الذي سلكت، واخترت لقلبي طريقًا آخر، فقد كان هناك رجلا يحبني أكثر من كل شيء، لكنني لم أكن أحبه فكسرني من أحببته.

نيڤين: حبيبتي، ما كل هذا؟! هل يعقل أن أكون أقرب الناس إليك ولا أشعر بكم هذا الوجع والألم داخلك؟

هوني على نفسك، ولن أفتح معك هذا الموضوع ثانية حتى تهدأي تماماً.

مضت الأيام وعادل لا يتوانى ولا يتراجع، اتصالات هاتفية، زيارات يومية رغم عدم مقابلتها له ورفضها التام، رسائل اعتذار، لا شيء أصبح يجدي نفعاً، فقلبها مهترئ ولا قدرة لديها للعودة من جديد.

*****

(٢٣)

يوسف .....

حاول الانتحار لولا لطف الله به وإنقاذ أبيه له في اللحظة المناسبة .

استدعى عادل طبيبا نفسيا للبيت حتى وإن كانت التكلفة أكثر من ذهابه للمستشفى، لكن خوفه على اهتزاز مكانته الاجتماعية يجعله يتنازل ويأخذ الحل البديل إن وجد.

بعد عشرة أيام من الجلسات النفسية المتواصلة مع يوسف في المنزل والكتمان، تعافى يوسف بشكل جيد، حتى أن نظرته للحياة بدت أكثر تفاؤلا من ذي قبل.

بعدها قرر عادل الذي خضع هو الآخر لجلسات مطولة مع نفس الطبيب محاولًا إصلاح نفسه أن يذهب إلى منزل الحج يسري ولا يغادره إلا وسهر معه هذه المرة.

طرق الباب ودخل، سلم عليهم وطلب منهم هذه المرة أن يدخل هو لسهر لا أن يدعوها أحدلمقابلته.

أرادت الحاجة شكرية أن تذهب لتلفت انتباهها أن عادل يريد مقابلتها، رفض عادل في أدب جم وقال لها: لا داعي يا أماه، أنا سأذهب بنفسي.

عادل يطرق باب الغرفة ثم يفتحها بهدوء، يطل برأسه، يرى سهر جالسة على طرف سريرها، تحتضن عامود زاويته.

يجلس جانبها يتحسس يدها بيده، تسحب سهر يدها بهدوء.

سهر: ما الذي أتى بك إلى هنا؟! هل بقي شيء آخر بيننا؟!

عادل: نعم. بقيت البقية الباقية منا، بقيت قطعة من روحينا، بقي يوسف.

سهر: تركته معك كي لا أضيعه كما أضعت أخيه من قبل.

عادل: سهر انظري إلى حالي (قالها وهو يبتلع دموعه)

سهر: لا تتعب نفسك وتتعب قلبي المحزون، اتركني وشأني يا عادل، أرجوك دعني ألملم حطام قلبي بوحدتي، علني أستطيع.

أومأ برأسه برهة والعبرة تخنقه، ثم رفع رأسه والتف بجسده جالسًا تحت قدميها، ممسكًا يديها بكلتا يديه، وكأنه يخاف أن يفلتها بعد أن وجدها.

عادل: هل تظني أنني لست حطاما مثلك، بداخلي نار تتأجج منذ أن تركتنا، أحسست كأني تائه دون مرشد في صحراء واسعة لا تعرف فيها اتجاهات، كالطفل الذي يحتاج أمه لتحميه حتى من نفسه ولا يجدها، كعاجز دون عكازه لا يستطيع الحركة دونه.

أرجوك لا تتركيني وحيدًا، فأنا ما فتحت عيني على امرأة بعد أمي سواك، وما عرفت غيرك، وما تعلقت حبالي بغير حبالك، حتى وإن بدا غير ذلك مني فأنا ما عرفت من الطباع إلا قسوتها كي أكون رجلا، هكذا تربيت.

لكني أملك قلبا، لو أبصرته لوجدت أنه كأفئدة الطير.

صدقيني أنا أعيش في صراع دائم بين ما أنا عليه وما يجب أن أكون عليه.

رفعت بصرها إليه وهي تبكي وجع الدنيا وقسوة الأيام، عينيها تنطق بكل معاني اللوم والعتاب والدهشة.

أردف عادل قائلا: أنا أبكيه كل يوم، يبكيه قلبي الذي ما احتضنه يوما، ولا عرف طريقًا للقرب منه، لم أقبله مرة، لم ألعب معه مرة.

اعتدل في جلسته وهو يضرب قلبه بقبضته بقوة عله يخفف وجعه بيده، ثم يصرخ وتزيد ضرباته على قلبه،آه،آه،آه.

ياربي لو يعود مرة أخرى أكفر فيها عما مضى، أكون له أبًا حقيقيًا.

رفعت سهر رأسها تنظر إليه وهي لا تصدق ما تراه!

(هل حقا تغير؟ ولكن، متى، بعد فوات الأوان !)

علت زفرات عادل وكأنه يصارع روحا تنتزع من بين جنبيه.

لم تجد سهر -ذات القلب العطوف الرحيم - نفسها إلا وهي تحتضن عادل ثم تبكي معه حرقة الأيام الضائعة وألم الفقد والعجز .

ظلًا هكذا يبكيان حتى قطع نحيبهما صوت رنين هاتف عادل.

إنه يوسف، أملهم الباقي في الحياة.

نظر عادل إلى شاشة هاتفه ثم قال: إنه يوسف.

حاول أن يتمالك نفسه ويجفف دموعه ليخفي قليلا من الحزن في نبرته متظاهرا أنهما بخير.

عادل: نعم يا يوسف، آسف يا حبيبي، سوف ننزل الآن ، نعم والدتك ستأتي معي، فنحن لن نتركك وحيدا بعد الآن.

أغلق سماعة الهاتف.. هيا يا سهر، يوسف ينتظرنا في السيارة.

سهر: لا أستطيع العودة للمنزل.

عادل: لماذا؟ هل ستتركين يوسف يضيع من بين أيدينا.

سهر: لا..ولكن!! أود الابتعاد عن المنزل، فأنا أراه في كل ركن من أركانه، تعبت ولا أتمالك أعصابي، أشعر أحيانا أني سوف أُجَن.

عادل: سهر هناك خطر محدق يتراءى أمامنا ولابد أن ننتبه قبل فوات الأوان، يوسف راودته فكرة الانتحار، هل سنتخلى عنه سعيًا وراء أحزاننا.

شهقت سهر من فرط دهشتها وانتفضت واقفة ... ماذا تقول؟!

عادل: هذا ما حدث، إن كنا نبحث عن صغيرنا الضائع

فلا نفلت يد الآخر في طريق البحث، لابد أن نجد أنفسنا أولا حتى نستطيع أن نجده، هيا يا سهر.

أمسك عادل بيدها وهو يسحبها مثل التائهة، يحسبها من يراها أنها أصيبت بالجنون.

أخذت معطفها، غطت شعرها وهي شاردة الذهن يعتريها الخوف.
عادل: تمالكي نفسك يا سهر، لابد أن نكون أقوياء أمام يوسف حتى لا ينهار مرة أخرى، لن نضيع آخر جزء تبقى منا قبل أن نجد باقي أجزائنا لتكتمل صورتنا.

يوسف وهو يفتح باب السيارة نازلًا منها على عجل: أمي حبيبتي، ثم يطوقها بذراعيه وهي تبكي لأجله، وتنتحب لرائحة صغيرها التي اشتمتها في أخيه.
عادت سهر إلى بيتها وهي تنوي أن تخبئ حزنها داخلها وتدفن الوجع لتنقذ ما تبقى لها ((يوسف)).
وقد عزمت على أن تعطيه الدافع ليتمسك بالحياة، إنه الحب، ثم الدراسة والعلم الذي سيجد فيه وبين طياته قيمته الحقيقية، وحينها سيحمي نفسه بنفسه.

*****

(٢٤)

تمر أيام شوقية كئيبة ثقيلة، لا يعلم بحالها إلا الله، بين الندم والحزن.

ندم على ما قالته لأمين قبل موته، وحزن على سنواتها الضائعة بين التيه والحيرة وعدم الاستقرار.

لكن شعورًا آخر كان يسيطر عليها غير ذلك ، إنه الموت.

الهاجس الذي يطاردها في كل لحظة من يومها، حتى باتت الكوابيس لا تتركها وشأنها.

لقد انتهى أمين وذهب في لحظة، يا ترى ما مصيره؟ هل يعذب؟ هل سأعذب أنا أيضا؟

أمضيت سنواتي وأنا تائهة، ما ركعت لله ركعة، ولا تعرف الأرض جبهتي فهي ما وضعت عليه منذ ولدت.

هؤلاء الأطفال .... ماذا أفعل بهم؟ هل أعيدهم لأحضان أمهاتهم لأتخلص من إثمهم؟ هل أذنبت فيما فعلت؟

أم أن الله سيغفر لي، فهو رب قلوب، وهو يعلم أني ما فعلت ذلك إلا لأنه حرمني، ولو أعطاني لما مشيت في ذاك الطريق ولا خطوت فيه خطوة.

تستمر في التفكير ليل نهار حتى تكاد تجن، لكن نفسها الأمارة بالسوء أقوى من أي تأنيب للضمير، فقد باتت صحوتها من ضلالها في غيبوبة

(٢٥)

على المائدة وضوء الشموع في جو أسرى دافئ تجلس سهر وأسرتها يتناولون طعام العشاء، ويناقشوا مع يوسف قراره في اختيار الجامعة.

عادل يمسك يد سهر ويقبلها: افتقدتك بشدة، ما أجمل وجه الحياة بوجودك.

تبتسم سهر في خجل.

يوسف: احم ... احم.. نحن هنا.

تتعالى الضحكات.

يوسف: بغض النظر عن هذا الغزل، لكن أبي محق يا أمي، فأنت بهجة حياتنا، ولا تعود إلا بعودتك.

سهر: سلمت يا حبيبي، لا حرمني الله منكم.

إذًا لنتحدث في الموضوع الذي من أجله حضرت كل هذا.

عادل: خيرا يا سهر؟

يوسف باهتمام: خيرا يا أمي.

سهر: خيرا إن شاء الله، إنه بخصوص الجامعة، نريد أن نأخذ قرارا بشأنك يا حبيبي؟.

تهلل وجه يوسف وتعززت الثقة لديه.

يوسف: كل هذا من أجلي؟! ما أروعك يا حبيبتي.

سهر: وهل لدينا من هو أغلى منك يا بني؟

عادل: حسنا، أنا أيضا كنت أود فتح الموضوع مع يوسف لأن الوقت يسرقنا وأخشى أن يغلق باب القبول، لقد تأخرنا في تقديم الأوراق.

يوسف: إن شاء الله غدا يا أبي أُنهي تقديمي بعد أن نأخذ قرارنا اليوم.

بداية لقد فكرت في كلية الطب.

سر الوالدين، اختيار موفق.

أكمل يوسف: ولكني أريد أن أتخصص بعد ذلك لدراسة الطب النفسي.

تعجبت سهر من ذلك الاختيار وسألت: هل لي أن أعرف السبب وراء اختيارك يا بني؟

يوسف: بالطبع يا حبيبتي.

لا أخفيك يا أمي منذ أن تغيب آدم، مررت بفترات نفسية عصيبة كادت تريدني لولا لطف الله وعنايته، ثم أبي الذي ما تركني لحظة، وكانت عينه تراقبني دائما دون أن أشعر به.

اغتبط عادل وتبسم: واجبي يا بني،أكمل.

يوسف: ثم تلك المرأة التي اختطفت آدم، ما الذي حملها على فعل ذلك؟؟ إلا أنها غير منضبطة داخليًا.

أنا مررت بذلك التخبط والتبعثر الداخلي، وأعلم أن الكثير من أفعالنا ورائها دوافع وظروف أخرى، تتحكم في الإنسان وتسلب إرادته، وتقلب كيانه، بل وتجعله إنسانًا آخر.

هل لو وجدت تلك المرأة يدا تنقذها من الضياع كما أنقذتني يد أبي بعد يد الله – هل كانت سترضى عن تلك الأفعال؟ أعتقد وبشدة.. لا.

تساقطت دمعات سهر تأثرا من عمق تفكير يوسف وصفق عادل من شدة إعجابه برأي يوسف وكلامه، وقال له: الآن يا يوسف أستطيع أن أقول أني ربيت رجلاً.

*****

(٢٦)

بعد سنوات من الاستقرار النفسي والأسري لسهر وأسرتها، حالة من الهدوء تسود في المنزل، يوسف متفوق جدا في دراسته.

كيف لا؟ وسهر وعادل يعطيانه جل وقتهم واهتمامهم، عادل أصبح أكثر حنانا على سهر، فقد أضحت هي محل الثقة له، جعلها حبيبته وصديقته، يحاول جاهدا تعويضها عما مضى.

سهر، أشغلت نفسها بيوسف ومستقبله ورياضته، بجانب هذا وذاك الأعمال الخيرية التي تشعرها بالراحة والقرب من الله، أصبح لها وردها من القرآن وأذكارها التي ما قالتها يوما في سنوات ضياعها.

قيام الليل الذي ما تهجع بالليل إلا قليلا لأجله (كم كانت ضائعة في بعدها عن الله، وكيف اطمأنت بالقرب منه)

حجابها بدا أكثر تسترا من ذي قبل، فلم تعد سهر تتابع الموديل والجمال الزائف والاهتمام بنظرة الناس لجمالها وأناقتها التي كانت شغلها الشاغل، ومع كل هذا لا تنسى حزنها الدفين على فلذة كبدها وقرة عينها،آدم.

في صباح يوم من الأيام تفيق سهر على رنين الهاتف، لكن هذه المرة قامت مذعورة، تركض نحو الهاتف، كيف لا وقد كانت ترى مناما مفزعًا.

ترفع سماعة الهاتف على عجل

السلام عليكم، خيرا يا أمي، بماذا يشعر؟

لِمَ لم تتصلي على الفور؟.

أغلقت السماعة وهي تردد سترك يا الله، سترك يا الله وقد بدا عليها التوتر والقلق.

في منزل الحاج يسري

تدخل سهر غرفة والدها الممدد على فراشه والنور في وجهة، بل وحوله في كل مكان، انحنت فوقه تقبله.

سهر: خيرا يا أبي، لا أراني الله مكروها فيك يا حبيبي، صوتها يتقطع بسبب دموعها التي تخنقها، فقد اشتمت رائحة الرحيل.

كما أحس الحاج يسري بقرب الأجل، ارتمت بين أحضان والدها كالطفلة الصغيرة ترجو منه أن لا يتركها، وهو يملس على رأسها ويبتسم.

الحاج يسري: هل سآخذ أكثر من عمري يا ابنتي؟

تزداد دمعاتها وترفع رأسها وتنظر في وجهه: نعم يا أبي خذ من عمري ومن دمي، ولكن لا تتركني.

الحاج يسري: أطال الله عمرك يا بنت قلبي، حتى تري أولاد يوسف، متعك الله بالصحة يا حبيبتي.

أنا أنتظر لقاء الله وكلي شوق له.

وصيتي لك، أمك،زوجك،ولدك، وقبل كل شيء ربك ودينك.

أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

قالها ثم فاضت روحه ووجهه متهلل كما الشهداء.

انهارت سهر داخليا وخارجيا، احتضنتها أمها وهي تتردد على مسامعها لا نقول إلا ما يرضي ربنا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

أُشهد الله أنك كنت نعم الزوج ونعم الصاحب، ألقاك في الجنة إن شاء الله يا حاج يسري.

في اليوم التالي ومع أذان الفجر، يُحمل الحاج يسري على الأكتاف، الجميع يبكي حرقة الفراق في صمت.

أول من تقدم لحمل النعش كان عادل الذي تربى يتيما،ورأى في هذا الرجل حنان الأب وحكمته.

صلوا في المسجد الذي شهد صلاة الحاج يسري طيلة تلك السنوات، ما ضيع فيها فرضا ولا فجرا لم يصله في وقته ولم يؤم المصلين فيه، ضج المسجد بأدعية

المصلين فهذا هو الحاج يسري الذي طالما صلى بهم وذكرهم بفضل صلاة العتمة.

ها هو اليوم يصلى عليه في أحب أوقات الصلوات إليه.

خرج ورائه يودعه أصدقائه وجيرانه، بل أفواج من الناس التي لا يعرفها أحد، فما أكثر إحسان الحاج يسري، وما أكثر صدقات السر، وصنائع المعروف، وقضاء حاجات الناس، التي لم يمل منها يوما، رحم الله ذاك الرجل الطيب وأسكنه فسيح جناته.

***

(٢٧)

في صباح يوم من الأيام تستيقظ شوقية على صوت بكاء خافت يأتي من تحت غطاء آدم الذي ما عاد صغيرا بعد ست سنوات من اختطاف شوقية له.

فهو الآن في الحادية عشرة من عمره، لكنه لا يعلم كم من الزمن مضى من عمره أصلا، فقد أخذته وهو صغير بريء.

هو على يقين أنه في المكان الخطأ، يتذكر والده ذو الشخصية الصارمة، ويوسف الذي كان يحبه أكثر من أي أحد في المنزل رغم حبه لأمه التي يذكر ملامح وجهها جيدا.

فمنذ سنوات وهو يغمض عينيه كل يوم ليراهم في مخيلته حتى لا ينسى، فقط ينتظر العودة، والآن ينتظر الهرب من ذاك المنزل الذي يعيش فيه حبيس لا يعلم كيف الخلاص منه ومن شوقية التي تجبره على كل شيء في الحياة، فلا اختيارات مع تلك المرأة يمكن أن يعيشها الإنسان.

شوقية بعد أن تكشف الغطاء عن وجه آدم وترى دموعه: ماذا بك يا آدم؟ هل أنت مريض؟ هل هناك ما يؤلمك؟

آدم: انا بخير.(يتهرب منها معرضًا لينام على شقه الآخر.

شوقية: لماذا تعرض عني يا بني؟ ماذا أصابك؟ ما يبكيك؟

آدم: لا شيء ... لا شيء أبدا، أنا بخير.

ينهض من مكانه، ليترك المكان مبتعدا عنها.

شوقية وهي تنظر إلى خطواته: ما كان ينقصني من الهم هم.

*****

(٢٨)

مضى ٤٠ يوما منذ وفاة الحاج يسري .

بدأت سهر تتعافى خارجيًا، من أحزانها قليلا، داخليا زاد جرحها وأصبح أكثرعمقا، فبعد معاناة ست سنوات من فقدان آدم تفقد أيضا ركن أساسي في حياتها، بل عامود حياتها، أبيها الذي كانت تستمد منه القوة والعزم والأمل، كان مصدرا لكل شيء جميل في الحياة بالنسبة لها.

تدخل سهر على الحاجة شكرية التي لا تفارق سجادتها ومسبحتها في يدها، لا تسمح لأحد بالدخول عليها من الرجال سوى عادل ويوسف، حتى أبناء أخو زوجها الذين يعيشون معها في نفس العمارة وهي لهم بمثابة الأم، لا تسمح لهم، فهي تقضي عدتها كما أمرها الشرع، احتراما لدينها، وقضاء لحق زوجها.

سهر: كيف حالك يا أمي؟

الحاجة شكرية: بخير يا حبيبتي.

سهر: أما آن الأوان أن تأتي معي إلى منزلي، اليوم هو اليوم الأربعين لوفاة أبي رحمه الله.

الحاجة شكرية: العدة لم تنتهي بعد يا بنيتي.

سهر: يا أمي هل طلبت منك الخروج في نزهة، فقط ننتقل إلى منزلي، لا فرق، وأكملي عدتك كما شئت.

الحاجة شكرية: يا ابنتي شرع الله لا تحايل فيه، لا أخرج من بيت زوجي حتى أوفي عدتي كاملة.

سهر: إذن ما الحل يا أمي؟! يوسف امتحاناته على الأبواب، وأنا لا أستطيع تركك وحدك ما حييت.

الحاجة شكرية: يا حبيبتي أنا لست وحيدة، زوجات إخوتك (أبناء عمها) لا يتركوني أبدا كما تري، ما رأيك أن تذهبي لبيت زوجك ثم تأتيني بعد أن يذهب عادل ويوسف نجلس سويًا قليلا، ثم تعودي من بعدها لبيتك.

سهر: اتفقنا، لا مشكلة، فقط حتى ينتهي يوسف من امتحاناته، وبعدها سأقيم أنا ويوسف وأبيه معك، لا حرمني الله منك يا روح فؤادي.

قبلت سهر رأس والدتها ويديها، ثم غادرت وأمها تلاحقها بالدعوات الصالحة لها ولأسرتها.

*****

(٢٩)

في المستشفى تجلس شوقية على كراسي الانتظار مع هند زوجة سالم التي أخذت شوقية قصرا للطبيب بعد أن أصابها الإعياء الشديد ونقصان الوزن مصحوبا بالهزال والضعف، وأخيرا فقدت شوقية وعيها عدة مرات.

هند: إن شاء الله سيتحسن وضعك، أنا على يقين أن كل هذا بسبب إهمالك الشديد في نفسك، التغذية مهمة يا شوقية وخاصة في رقبتك أطفال يحتاجون إلى مجهود يومي،

أعانك الله عليهم، فليس لهم سواك بعد وفاة والدهم.

نظرت إليها شوقية ثم حلقت بخيالها، فأمين لم يكن والدهم، ماذا لو لم أجلب تلك المسؤولية لرقبتي ورقبته؟!

لماذا لم أرض بما قدره الله لي؟! ربما كانت حياتنا أنا وأمين ستكون أفضل.

ربما تمتعنا بتلك الأموال التي أغدقتها على سرقة أطفال ليسوا أطفالي ولا يحملون دمي، آه لو تعود الأيام.

قطع سلسة أفكارها وتوهتها صوت الممرضة: شوقية محمد عبد العال.

دخلت غرفة الكشف، أجرى لها الطبيب تحاليل عدة بعد فحصها، ثم غادرت شوقية في انتظار النتيجة.

في الصباح بعد يومين ذهبت شوقية لتأخذ نتائج التحاليل،أخبرها الطبيب أن هناك شيئا في التحاليل لا يستطيع أن يجزم بوجوده، لكنه سوف يحولها لطبيب متخصص في الأورام.

صعقت شوقية: ماذا؟ أورام، أي أورام؟

الطبيب: للأسف الشديد يا سيدتي أنا أشك في لوكيميا، لكني غير مختص ولا أستطيع أن أجزم.

انهارت شوقية تماما بعد صدمتها الشديدة، فقد كانت تشعر بدنو الأجل مسبقا، والآن تأكدت من شعورها.

حاولت هند معها كثيرا أن تذهب للطبيب المختص، فلربما كان كلام الطبيب السابق خاطئًا، وبعد جهد جهيد وافقت شوقية بعد أن غرست هند الأمل بداخلها .

لكن!! سرعان ما انهار الأمل وتحطم على قارعة المرض والخوف واليأس، إنها اللوكيميا، وفي مراحل لا يجدي معها العلاج نفعا.

عادت إلى منزلها تحمل هم الدنيا على كتفيها، خطواتها ثقيلة كئيبة، من يراها يشعر أنها قد كبرت على عمرها عمرًا مثله.

تدخل من الباب تغلقه ثم تستند برأسها عليه، آدم يشعر بالدهشة لكنه لا يسأل، الأطفال يركضون نحوها: ما بك يا أمي، هل أصابك مكروه؟! تحتضنهم ثم تبكي بحرقة .

تحركت مشاعر آدم نحو بكائها بهذا الشكل، فمشى إليها خطوات، ما بك يا أمي؟! هل ضايقك أحد، أو مسك بسوء؟!

شوقية لا تتكلم، فقط تبكي، وكأنها لا تجد في الكلمات ما يسعفها لتشرح ما حل بها.

***

(٣٠)

انقضت أشهر العدة، ومن ثم انتقلت الحاجة شكرية للعيش مع ابنتها الوحيدة سهر والتي آثرت أن تنتقل أمها للعيش معها حتى لا تغيب عن نظرها لحظة واحدة رغم عدم رغبة الحاجة شكرية وأبناء عم سهر في ذلك، لكن سهر كانت لها وجهة نظر أخرى وأجبرت الجميع على الانصياع.

بدت أيام سهر مرحة جميلة تغمرها السعادة، فوجود أمها قد خفف عنها الكثير وأزاح قدرًا كبيرًا من الحزن، أصبح بيتها لا يخلو من الزوار، فأبناء عمها لا ينقطعون عن الزيارة وأيضا نيفين التي تعشق حديث الحاجة شكرية والجلوس بين يديها بعد أن حُرِمت حنان الأم بموت والدتها.

لكن الحياة لا تلبث أن تأخذ منا بعد أن تعطينا، بمجرد أن تطمئن قلوبنا ويتسلل إليها السرور، تباغتنا على حين غفلة لتسلب منا ما أعطتنا بشكل أو بآخر.

هكذا هي الدنيا، لا حلوها يدوم، ولا مرها يبقى.

في ليلة من ليالي الشتاء القارص، تفيق سهر وعادل على صوت يوسف وهو يستغيث بهما، أسرع عادل وتلته سهر، خيرا يا بني، ما الأمر؟

يوسف: جدتي تهذي من الحرارة.

هرولت سهر، أمي .... أمي

وضعت يدها على جبينها، يا الله، رأسها تغلي.

تنادي سهر أمها لكنها تهذي ولا أحد يفهم ما تقول.

إنها الحمى، على الفور اتصل عادل بالطبيب.

بعد أن أنهى الطبيب الفحص.

عادل: خيرا يا دكتور؟

الطبيب: خيرا إن شاء الله، أعتقد أنها تعاني من نزلة شعبية حادة، لابد من نقلها للمستشفى.

على الفور تم نقلها للمستشفى، فما عادت تحتمل المرض بعد أن رق عظمها وكبر سنها لابد أن تكون تحت المراقبة والعناية المشددة.

ظلت في المستشفى أربعة أشهر، حالتها من سيء لأسوء ، اكتشفوا في خلالها أن الكبد في نهايتها، فقد غطاها التليف الذي أدى إلى استسقاء في المعدة، حتى حانت اللحظة التي طلبت فيها من سهر القليل من الماء، أعطتها سهر الماء، شربت ثم أمسكت بيد سهر وهي تتناول منها الكأس وشدت على يدها ثم همست لها، اقتربي.

الحاجة شكرية: عاهديني يا ابنتي أن لا يكون آخر عهدي بك الجزع، إني مفارقة، فقد رأيت أبيك في منامي وأخبرني أني راحلة إليه.

بنيتي يا قلبي وروحي، كلنا مفارقون وليس منا باق، أموات أبناء أموات.

وصيتي لك لا تجزعي، واصبري، واعلمي أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فاجتهدي إن حانت لحظتك أن تلقي الله وكفتك راجحة.

انهارت سهر وهي تسمع تلك الكلمات التي نزلت عليها كالصواعق، دموعها تنهمر،أمي.. أمي.

تبكي وتلثم أمها بشفتيها والكلام قد انعقد في لسانها، فهي تعلم سابقا من الأطباء أنها أيام تقضيها، ولكن لم تكن تتوقع أن تسمع منها تلك الكلمات بكل ذاك الثبات وتلك القوة.

بقيتا على هذه الحال، الحاجة شكرية توصي وتنصح وتودع، وسهر جالسة على كرسي واضعة رأسها فوق يد أمها التي تشد عليها بين يديها، حتى غلبهما النوم ولم تفق سهر إلا على أذان الفجر، وصوت الشهادة على لسان أمها.

يا الله، ما أصعب الأحداث والأيام على سهر.. كيف لقلبها تحمل كل تلك الهموم؟

***

(٣١)

في منزل شوقية ....

تنام شوقية على سريرها، لا ليلها ليل، ولا نهارها نهار، الآلام لا تحتمل، ولكنها تعاند وتصارع مع المرض.

تأتيها هند من يوم لآخر لترى ما تستطيع تقديمه من المساعدة لشوقية في مرضها الذي آثرت ان تصارعه وحدها في المنزل.

آدم لا يعلم ما يحدث تماما، لكنه يعلم أن شوقية مريضة، كل ما يتمناه أن تعيده إلى أهله الذين لا يعلم عن مكانهم أي شيء ولا يذكر سوى أسماء وأشكال رسمت في مخيلته فقط.

في صباح يوم من الأيام تطرق هند الباب، تفتح بنسخة المفتاح التي أعطتها لها شوقية.

هند: صباح الخير يا شوقية، كيف حالك اليوم؟

تهز شوقية رأسها بأنها بخير، لكن وجهها يغشاه الظلام.

أعدت هند الإفطار لمن في المنزل، شوقية لا تأكل، فقد امتنعت عن الطعام منذ أيام.

تقترب منها هند: ألن تأكلي شيئا، عدم الأكل سيهلكك؟

لابد أن تأكلي شيئًا، أي شيء.

آلام شوقية باتت أكبر من الطعام والشراب، فجسدها أنهكه المرض وقضى عليه.

أنهت هند نظافة المنزل وترتيب أموره، جهزت غداء، ثم توجهت بالحديث لآدم.

هند: الغداء جاهز، متى ما شعرت بالجوع أنت وأخوتك تناولوا، هل تريدون مني شيئًا آخر؟!

فكر ادم في المفتاح الذي يحلم بلمسه، فبادرها قائلا: هل ستتركين المفتاح؟!

هند: لا.. هذه النسخة معي ونسخة أمك قد وضعتها في الصندوق الذي في الدولاب.

ثم خرجت وأغلقت الباب بعد أن ودعتهم.

تهلل وجه آدم، لكن كيف سيفتح الدولاب وشوقية في الغرفة.

قطع تفكيره صوت صراع ونزاع يخرج من غرفة شوقية، فهي تنازع سكرات الموت.

ذُهِل آدم وارتبك،أسرع واختبأ تحت لحافه واضعًا يديه على أذنيه، لكن صوت شوقية وسكرات الموت كان أقوى من أي مانع صوت، الأطفال يبكون أمي، أمي. فهم ما عرفوا أما غيرها، ولم يعلموا يوما أنها من جففت الفرحة في قلوب أمهاتهم.

وبعد ساعات اختفى الصوت تماما وانقطع، وقف الأطفال على باب غرفتها يتقدمهم آدم، يتفقدوا المشهد في ذهول، فهم ما عرفوا لِمَ كانت تصرخ؟ ولِمَ توقفت فجأة.

اقترب منها أحدهم،يناديها،أمي،أمي، ولكنها لا تجيب،يمسك بيدها ويلتفت إلى إخوته إنها كالثلج.

نعم.. إنها كالثلج، فقد ماتت شوقية، ولم تأخذ معها من تلك الفانية شيئًا سوى آثام كانت قد اختارت حملها لدار القرار.

قضت شهوتها في الدنيا – فحتى الأمومة شهوة من شهوات الحياة يبتلينا الله بها أحيانا ليمتحن قلوبنا ومدى إيماننا – لكنها دمرت غيرها في طريق إشباع

رغباتها كم أحرقت من قلوب، وكم أوجعت أمهات، عاشت تتمنى لو تشم رائحة فلذة كبدها مرة أخرى .

انتهت قصة شوقية مع الحياة، وما أقصر الأيام مهما طالت، فلابد لها من نهاية نكتبها نحن بيد القدر الذي نختاره لأنفسنا ونمشي في طريقه بإرادتنا المطلقة.

آدم متردد، هل يفتح الدولاب؟ أم ينتظر، فلربما تصحو شوقية.

احتار قليلا، ثم عزم على فتحة أخذ يبحث عن الصندوق كالمجنون، حتى وجده .

فتح الباب وظل يركض وهو يبكي ويهرب، لا ينظر خلفه، ولا يعلم مما يهرب ولا إلى أين .

***

(٣٢)

نيڤين: سهر، هل ستبقي على هذا الحال كثيرا؟..

سهر: ماذا أفعل يا نيڤين؟، لم يبقى لي أحد، إنهم راحلون واحدًا تلو الآخر.

نيڤين: كيف ذلك وكلنا حولك ومعك، ألست أختك وصديقتك، أما تعاهدنا على ذلك منذ الصغر؟!

انظري ليوسف قطعة من روحك، وأبناء عمك، أليسوا إخوتك، وزوجك؟!

احمدي الله يا حبيبتي على ما أنتِ فيه، ولا تتخيلي أنك وحيدة، كلنا حولك لا يفرقنا إلا الموت.

سهر: أنتِ أختي وصديقتي وحبيبتي، ثم هبت تحتضنها.

نيڤين: يشهد الله أني ما اعتبرتك يوما إلا أختي من دمي وروحي وأبناؤك أبنائي، حرمني الله فرحة الأبناء ثم عوضني بفرحتين (يوسف وآدم)

أجهشت سهر بالبكاء: لم يعودوا أبناء، بل أصبحوا واحدًا والثاني لا يعلم بحاله وحالي إلا الله.

نيڤين: لا تحزني، سيعود بإذن الله، أنا على يقين بفرج الله ورحمته الواسعة، ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لن تُفرَج.

مضى أسبوع منذ وفاة والدة سهر وهي على حالها، في دوامة الحزن، لا تستطيع الخروج منها.

*****

(٣٣)

أثناء هروب آدم من بيت شوقية التي تركها جثة هامدة لا يعلم إن كانت ماتت أم لا، كل ما يعرفه أنه لأول مرة منذ سنوات تطأ قدميه تراب الشارع.

يركض، يريد أن يبتعد أكبر قدر ممكن، قابله رجل ستيني خارج من المسجد بعد صلاة العصر، رآه يبكي ويتلفت وكأنه غريب،ناداه.

الرجل:ما بك يا بني؟! مما تهرب؟!

ارتعب آدم فهو لم يعتد على الغرباء، ولم يكن يرى الناس لسنوات إلا عبر شاشة التلفاز.

اقترب منه الرجل: لا تخف يا بني، يبدو أنك جائع وتهرب من شيء ما، تعالى واطمئن، لنتناول الغداء ثم تقص عليا حكايتك وإن شاء الله أستطيع مساعدتك.

شعر آدم بارتياح بعد أن أحس بحنان الحاج فوزي كما يدعى.

بعد أن استمع لآدم وشعر من حكايته صدقها، ولمس حزن آدم، قرر أن يساعده في العودة لوالديه، اتجه به صباح اليوم التالي إلى قسم شرطة سيدي بشر.

حُول من هناك إلى دار رعاية، فهو ما يزال صغيرًا وليست هناك معلومات كافيه عن والديه ولا عن المكان الذي كان يعيش فيه.

ودع العم فوزي آدم على اعتاب دار الرعاية داعيا له أن يجمع شمله مع أهله.

في أثناء تواجد آدم في قسم الشرطة، كان هناك ضابطا يدعى محمود ذو قلب رحيم، عطوف، أشفق على آدم كثيرا، وتعاطف معه بقلبه، وتخيل أن أحدا من أبنائه مكانه، فماذا كان سيفعل؟

بعد أن سلم آدم إلى دار الرعاية، عاد مهموما إلى منزله، دخل إلى غرفته، بدل ثيابه، جلس على سريره يفكر في أمر ذلك الطفل، وكيف حال أهله من بعده.

دخلت عليه زوجته سارة: مساء الخير يا حامي الحمى، اشتقت إليك كثيرا.

الضابط محمود: هل نام الأولاد؟

سارة: بالطبع منذ الثامنة وهم يغطون في ثبات عميق.

كيف كان يومك؟!

الضابط محمود: بخير.

ساره: هل هناك ما يحزنك؟!

أومأ برأسه: لا تشغلي بالك، فهموم عملي لا تنتهي.

سارع: شاركني همومك نحملها سويًا، فتخف من على كتفيك.

الضابط محمود: هو ليس هما، ولكنه طفل كالملائكة.

وقص عليها ما حدث.

فكرت للحظة ثم اقترحت عليه: ما رأيك لو ساعدناه؟

الضابط محمود: كيف ذلك؟

سارة: ما رأيك لو طلبت من صديقتي أن تجعله يخرج معها في برنامجها، خاصة أنها تهتم بالحالات الإنسانية، ولها صيتها وشهرتها والكثير الكثير ينتظر حلقاتها الأسبوعية بفارغ الصبر؟

سيشاهده عدد كبير، ربما كان أهله من بين المشاهدين فيعرفونه.

خاصة أنك ذكرت أنه يعرف اسمه واسم والده وأمه وأخيه.

تهلل وجه الضابط محمود: فكرة جيدة للغاية، على بركة الله، ربما استطعنا مساعدته، رزقنا الله أجر إعادته لحضن والديه.

سارة: آمين،آمين.

بالفعل تحركت سارة بخطى سريعة يحثها حنان الأمومة، وخوف المصير.

أجرت اتصالها في صباح اليوم التالي على صديقتها التي وافقت على الفور، ووعدتها أن يكون جزء من حلقتها المقبلة.

*****

(٣٤)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

"الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ .....)

بصوت عذب تقرأ سهر سورة يوسف جالسة بلباس الصلاة فوق سجادتها – التي أصبحت كحضن الأم الدافئ لها – مختلية بربها، تشكو إليه حزنها وتدعوه أن يخفف عنها حزنها على والديها ومن قبلهم آدم، أول طعنة في قلبها حين فارقها.. أول حزن أصابها، وكأن ما قبله ما كانت أحزان.

جلست تقرأ في سورة يوسف التي تلامس قلبها وتحكي وجعها، مع كل آية يتضارب الشعور وتزداد الدموع، وتزداد معها الأمنيات، حتى وصلت إلى قوله تعالى :( ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ... هنا توقفت ولم تستطع تمالك نفسها أكثر فقد مرت سبع سنوات على فقدان آدم الذي ما ارتاحت من بعده أبدا، سجدت على الأرض وهي تردد، سبع شداد، سبع شداد، نعم يا ربي،

إنهن سبع شداد، لقد كانوا شداد، تبكي بحرقة، تبكي الأيام الضائعة في البعد والفقد.

حتى نامت مكانها بعد إرهاق البكاء والحزن.

***

(٣٥)

سارة تهندم ملابس آدم قبل بدء التصوير، ليخرج إلى الأضواء ويحكي حكايته- التي لا يعرف منها إلا القليل،القليل، وينتظر من يتعرف إليه لتكتمل الحكاية -

فقد أخذته من دار الرعاية قبل موعد التصوير بيومين واعتنت به، وحاولت أن تفهم منه بعض التفاصيل.

انطلق آدم ليجلس أمام الكاميرا، وسارة خلفها تدعو الله وتبتهل أن تحدث المعجزة، ويجمع شمله بأهله.

نيڤين تشرب الشاي، تمسك بريموت التلفزيون، تتنقل بين القنوات ريثما يبدأ البرنامج الذي تتابعه وتنتظره كل أسبوع، لتسمع حكاية جديدة من حكايات البشر التي لا تنتهي.

تطل المذيعة أنيقة كعادتها، مبتسمة ابتسامة رقيقة، مساء الخير، مساء السعادة، مساء الأمل.

مساء الرضا بأقدار الله، مساء جبر الخواطر.

إلى كل مشاهدينا الأعزاء،مساءكم أجمل إن شاء الله.

حكايتنا اليوم حكاية إنسانية كالعادة، لكني أطلب اليوم منكم طلبا خاصا، أرجوا أن تكون جميع الأمهات يشاهدوننا الآن، فالحكاية اليوم لكِ،لإحساسك، لأمومتك، أريد من كل أم أن تساعدني في حكايتي اليوم في فقرتي الأولى، فربما تكوني أنتِ بطلتها المفقودة.

نداء خاص وعاجل لكل أم، انتظرونا فسنعود إليكم بالحكاية بعد هذا الفاصل.

(فاصل إعلاني)

تعود المذيعة من جديد، أهلا وسهلا بكم من جديد، عدنا بحكايتنا في الاستوديو، ويجلس معنا أحد أبطالها نبحث معه عن باقي الحكاية.

ضيفنا اليوم ملاك بريء، حرمته يد آثمة من حنان أمه ورعاية أبيه، أغلقت عليه الأبواب حتى لا يصل إليه أحدهم.

لا نعلم من الجاني لأن ملاكنا البريء لا يعلم أين كان، ولكن ما يهمنا الآن أنه هنا...انتبهت نيڤين للحكاية التي تشبه في مضمونها حكاية صديقتها التي فقدت فلذة كبدها.

رفعت الصوت أكثر وجلست تستمع بكل حواسها.

المذيعة: معنا طفل تقريبًا في العاشرة من عمره، لا نعلم أيضا كم يبلغ من العمر بالتحديد، معنا آدم، مرحبا بك يا آدم ضيفا معنا في الاستوديو.

ثم وجهت الكاميرا على آدم .

صعقت نيڤين!! هل يعقل؟ آدم،لا، لا

قامت تلف حول نفسها واضعة يديها على فمها،آدم،آدم،معقول!! لا أصدق، إنه هو، نعم هذه هي ملامحه البريئة، وقفت تستمع لما يقول.

بدأ يشرح للمذيعة أنه كان صغير ولا يتذكر أي شيء، كل ما يتذكره أخوه يوسف وكان كبيرا، وماما سهر، وبابا اسمه عادل، ولا يتذكر أي شيء آخر ولا يعرف من أي بلد هو.

تزداد صرخات نيڤين: نعم إنه هو، خرت ساجدة على الأرض في حالة من الفرح والبكاء الهيستيري.

لكن كيف ستخبر سهر؟

(٣٦)

الهاتف تعلو رناته، تحاول سهر أن تفيق من رؤيتها التي ما سمعت فيها سوى آية تتردد (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)

أمسكت بالهاتف وهي تتعدل ولا تستطيع أن تفتح عينيها، فقد أغلقهما البكاء بآثاره.

سهر: ألو.

نيڤين: عاد آدم يا سهر، عاد آدم.

سهر: كيف؟ أين هو؟؟ قامت وهي تصرخ وتجري من غرفتها،أين؟أين؟ تبحث في المنزل.

نيڤين: افتحي التلفاز (برنامج حكايتي).

خرج يوسف من غرفته مذعورًا من الصوت يجري نحو أمه التي تصرخ كالمجنونة.

يوسف: ماذا يا أمي؟!

سهر: أخوك،آدم.

لم يفهم منها شيئًا، أخذ منها الهاتف، إنها خالته نيڤين تبكي وتصرخ أيضا، وما إن فهم منها حتى انطلق يعدو، أمسك بالريموت، فتح التلفاز، هاهو البرنامج، وها هو آدم.

تسقط سهر مغشيا عليها.

في طريق العودة تستند سهر برأسها إلى الشباك، تنظر إلى النجوم، تحادثها في صمت، تحتضن آدم وتحتضنها يد يوسف الذي يحتضن أخيه من الجانب الآخر.

عادل يمسك بالمقود، يختلس النظرات بين الحين والآخر في المرآة أمامه، أخيرا اجتمعت أسرته، أخيرا تحقق الحلم.

تنظر إليه سهر وهي تتذكر أول لحظات لغياب آدم، وانشغالها عنه في أوجاعها حين غادرها ولم تشعر به، تلتقي نظراتهم في المرآة، تهمس سهر وهي تغلق عينيها:

لِمَ جعلتني أعاني؟.

*****

انتهت –

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع